روايات عبير

باخرة منتصف الليل

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Linda WAGNER

N° 656

روايات عبير

ماذا أقول للشرطي؟

هل إنني أشك في "أرنو"؟

في أنه يبدو ضحية لهذه الطائفة؟

ليس عندي من اليقين ما يؤكد صحة افتراضاتي،

وحتى لو أملكه،

هل سأقدم الدليل على إدانة "أرنو"؟

بالتأكيد لا... إنني أحبه!

www.rwayat.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	١٠ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	20 درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	2.5 دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-443-84-X

9789953443843

الشخصيات

"أورينا بالكسيو" : صحفية شابة تقضي عدة أيام في منطقة "بريتاني" بغرب "فرنسا" كي تنسى تجربة فاشلة مرت بها.

"أرنو دي مونبريان" : صحفي مشهور يعيش بمفرده على متن مركب يمتلكه "آريان"، يمضي معظم وقته في عرض البحر بعد مقتل زوجته.

"آرون لي جارن" : رجل غامض من أحد قاطني مدينة "كيبيرون" حيث تدور أحداث القصة، يعمل ببيع التحف والهدايا للسائحين.

"باتريس" : صديقة "أورينا"، وفي نفس الوقت، رئيسة تحرير المجلة التي تعمل بها "أورينا بالكسيو".

الغلاف الأمامي

"أورينا بالكسيو" : صحفية شابة تحاول الانفراد بنفسها بعد تجربة مريرة عاشتها، تحاول قضاء بعض الوقت في إحدى المدن الصغيرة "كيبيرون" التي تقع في منطقة "بريتاني" بغرب "فرنسا"، لكن الأحداث لا تتركها في حالها، وتقع فريسة لعواطفها وفضولها الذي يؤدي بها إلى مشاكل كثيرة. تقابل "أرنو دي مونبريان" . فهل يساعدها على مواجهة مشاكلها أم لا؟

الفصل الأول

هبت ريح قوية عصفت بالشاطئ، وأثارت زوبعة من الرمال. تركت "أورينا" سريرها واقتربت من النافذة، ثم فتحتها على مصراعيها.

كان هواء الليل منعشاً. لم تستطع "أورينا" العودة إلى النوم مرة أخرى، نفس الحلم المزعج الذي تكرر ألف مرة يتراءى أمام عينيها، ويمنع جفنيها من أن يداعبهما النوم مرة أخرى.

كانت "أورينا" ترتدي "تي - شيرت" طويلاً ومصنوعاً من القطن. ذهبت إلى شرفة الحجرة التي كانت تنزل فيها بالفندق. كان الجو منعشاً، لم يكن ذلك برد الشتاء الرطب في إقليم "بريتاني"، لكنه أيضا لم يكن حرارة الصيف. كان شهر أيلول (سبتمبر) يمر ببطء، وكانت شبه الجزيرة خالية من السائحين الذين كانوا يملأونها أثناء الموسم، وعاد إلى "كيبيرون" هدوؤها الذي طالما اشتهرت به كقرية صيادين.

تنفست "أورينا" بعمق هواء البحر المشبع برائحة اليود، كان صوت الريح المصطدمة بصخور الشاطئ يشبه أنين عروس البحر الملقاة على الشاطئ تشكو يائسة.

فجأة اخترق صوت الريح ضوضاء محرك لمركب يقترب. حدقت "أورينا" صوب مدخل المرسى، وشاهدت المركب ذا القلاع البيضاء يرسو. قالت لنفسها: "إنه منتصف الليل.. يجب أن يكون قد انتصف الليل تماما" .. نظرت المرأة الشابة في ساعة يدها لتتأكد من صحة افتراضها. لم يكن صعباً على "أورينا" أن تلاحظ ذلك، فأثناء فترة إقامتها في "كيبيرون"

والتي امتدت لما يقرب من اثنا عشر يوما، كان المركب ذو الهيكل الأحمر الدموي والقلاع البيضاء يعود كل ليلة في نفس الموعد تقريبا، كما لو كان ينتظر انتهاء الدقات الاثنتي عشرة لساعة البلدة قبل أن يجرؤ على الرسو.

بدون تفكير، عادت "أورينا" إلى حجرتها ولبست بنطلوناً ثم اتجهت إلى سلالم القصر القديم لتصبح في اتجاه الخروج.

اندهش حارس الفندق الليلي من خروج "أورينا" في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل، وتوجه إليها قائلا:

– أهناك شيء يزعجك يا سيدتي؟

ابتسمت له "أورينا". كان مظهر هذا الحارس ببشرته القوية وعينيه اللتين ينعكس عليهما مظهر البحر ولحيته القصيرة يتفق تماما مع بيئة هذا المجتمع البريتاني. ردت عليه "أورينا" قائلة بشكل طبيعي:

– لا، كل شيء على ما يرام. أشكرك، فقط أردت أن أتنفس قليلا. وجدت "أورينا" نفسها خارج الفندق، وبسرعة اتجهت صوب الشاطئ الذي لا يبعد سوى عدة أمتار قليلة، وبدأت تجري على الرمال المبللة بماء البحر. عندما وصلت "أورينا" إلى نهاية الشاطئ صعدت السلم المُشيد وسط الصخور والذي يؤدي إلى مرسى الشاطئ. عندما وصلت لكوبري المرسى رأت شبحاً غير مميز الملامح يتحرك في مقدمة المركب، يطوي الشراع الأمامي بعد أن أنزله.

"لكن، ماذا تفعلين هنا؟" فجأة سألت "أورينا" نفسها هذا السؤال وانتبهت لعدم معقولية موقفها: ساكنة في الظلام تراقب دخول أحد المراكب ليرسو، وهي تجهل كل شيء عن هذا

المركب وصاحبه. حدثت نفسها: "ماذا هناك أيضا؟ خرجت من حجرتي في منتصف الليل من أجل ذلك! إن هذا لجنون.."

كان المركب يقترب ببطء في الممر الضيق للمرسى، وكان المحرك مازال دائراً، صوت اصطدام الأمواج بهيكل المركب، رائحة البحر القوية المختلطة بحشائش البحر المقذوفة على الشاطئ والمختلطة برائحة الجلد والخشب وعادم محرك المركب. كل ذلك ذكر "أورينا" بـ"فرنسي"، هذا الماضي القريب الذي تريد أن تنساه من أعماق ذاتها، وأن يمحى من ذاكرتها للأبد.

ببطء توقف المركب تماما أمام الرصيف في مكانه المعتاد، وبقفزة سريعة هبط قائد المركب إلى الأرض، وشرع في ربط حبل المركب في الحلقات المثبتة في الصخور. اقتربت "أورينا" في صمت تام ما أمكنها ذلك، كانت تشعر بأنها ستكون في موقف محرج إذا اكتشف أحد أنها تتلصص هكذا. اقتربت المرأة الشابة أكثر من المركب في الظلام حتى أصبحت على بعد ثلاثة أمتار من المركب، وفي ضوء القمر الخافت استطاعت أن تقرأ الاسم المكتوب على جانب المركب "آريان".

للحظة، ظلت "أورينا" ساكنة، مذهولة من المصادفة الغريبة: "آريان".. أليس ذلك الاسم هو الترجمة الفرنسية لاسمها الشخصي "أورينا"؟ في الأسطورة تمثل "آريان" بنت "مينوس" قصة الفتاة المغرر بها والمهجورة من "تيزيه" في جزيرة "ناكزوس". مغرر بها ومهجورة...

وجدت المرأة نفسها مندهشة عندما تذكرت كل ما عاشته بدون كثير من الألم، ولكن بكل ما يشبه الشعور بالخضوع والخنوع.

عاد الرجل إلى متن المركب، وشرع في طي شراع المركب

الأمامي قبل أن يدخل إلى كبينة المركب. لحظات وأضاء النور الذي كان خافتاً وضعيفاً لوجود ستارة على باب المدخل، استطاعت "أورينا" أن تتأكد أن الشبح الذي يتحرك أمامها لرجل، وأنه بمفرده على المركب.

شعرت فجأة بالخجل نتيجة لهذا التجسس الذي لن يفيد في شيء. بأي حق سمحت لنفسها بأن تتجسس على غريب؟ وأن تلاحظ حركاته وأفعاله، الغرابة كونه يعود إلى المرسى كل ليلة في منتصف الليل؟ أليس له الحق في أن يتصرف كما يحلو له؟

انطفأ ضوء المركب، وعلى الرغم من معاتبة الذات التي ما لبثت "أورينا" أن انتهت منها، إلا أنها ظلت للحظات جامدة في مكانها تراقب المركب الذي تداعبه أمواج المرسى، فيتأرجح يميناً ويساراً.

هب تيار هواء شديد أثار الرمال على الشاطئ، ارتعدت "أورينا" قليلا في قميصها القطني، وحدثت نفسها قائلة:

"إنني مجنونة، سأصاب بالبرد إذا استمررت في الوقوف هنا".

عادت مسرعة إلى الفندق، خلف "كونتر" استقبال الفندق كان الحارس مستغرقاً في النوم حتى إنه لم يرفع رأسه ليلاحظ عودة "أورينا" إلى الفندق.

في الصباح الباكر، استيقظت "أورينا" على رنين جرس التليفون. قضت "أورينا" هذه الليلة وكان نومها مضطرباً، امتزجت فيه الأحلام الغريبة بفترات الأرق، وتردد في حلمها ظهور المركب الأحمر ذي الشراع الأبيض لعدة مرات. تملك المرأة الشابة شعور مخيف بشكل مفاجئ، ولم تفهم الداعي لذلك الضيق. أمجرد تشابه اسمها مع الاسم المكتوب على المركب كان سبباً لذلك أم أن شيئا ما أكثر عمقاً يجذبها إلى ذلك الأمر؟

مع الرنة الرابعة لجرس التليفون، اتجهت "أورينا" إلى منضدة التليفون وهي مندهشة لهذا الاتصال المبكر. في الواقع، قليل من الأشخاص يعرفون رقم تليفون هذا الفندق، ومن جهة أخرى، فإن كل معارف وأصدقاء "أورينا" يقدرون كم تحتاج "أورينا" إلى الانفراد بذاتها، ومدى حاجتها إلى الهدوء والسكينة بعد التجارب القاسية التي مرت بها. ردت بصوت يغالبه النعاس:

- نعم.

- "أورينا"، أنا "باتريس"، أمازلت نائمة؟ على كل حال، إنها التاسعة.

أثار صوت المتحدثة المليء بالحيوية ابتسامة "أورينا". "باتريس" هذه هي رئيسة التحرير بالمجلة النسائية التي تعمل بها "أورينا".

لكونها رئيسة "أورينا" في العمل وصديقتها في الوقت ذاته، فإن "باتريس" كانت تعلم جيداً مدى حاجة المرأة الشابة لأن تخلو بنفسها حتى تستطيع أن تنسى هذا الماضي القريب، وأن تعيش في سلام ما استطاعت ذلك. لا شعوريا، اندهشت "أورينا" لموقف صديقتها، لكن لم يستمر اندهاشها طويلا إذ إن "باتريس" بادرتها قائلة:

- أرجو أن تغفري لي ذلك الاتصال على الرغم من وعدي لك، لكنني في حاجة إليك.. مقال "كاترين" عن حرب العصابات بـ"أيرلندا" لم ينته بعد، الصور مختفية في مكان ما... باختصار، إنها كارثة. إنني في احتياج لمقال من أربع صفحات خلال ثلاثة أيام... أنت الوحيدة التي تستطيعين أن تسدي إلي تلك الخدمة.

لم يكن ذلك مدحاً بدون طائل، ذلك الذي قالته "باتريس"، فقد كانت "أورينا" - في الحقيقة - واحدة من أفضل

الصحفيات بـ"باريس"، وكل من عمل معها يعرف جيداً مدى قدرتها على التصرف بشكل جيد، في المواقف الصعبة.

طمأنت صديقتها التي كان القلق واضحاً في صوتها. فالضمير المهني لدى "أورينا" يفوق كل رغبة في الراحة.

مقال من أربع صفحات خلال ثلاثة أيام، إن ذلك الشيء يصعب تحقيقه مع الأخذ في الاعتبار صعوبة العمل الصحفي، والأمانة الصحفية التي تستوجب أن يراعي الصحفي الحقيقة كاملة في مقاله.

أخيراً قالت "أورينا":

– موافقة. لا أعرف حقيقة الموضوع الذي سوف أكتب فيه، لكن... قاطعتها "باتريس" قائلة:

–إنني أثق بك، من المؤكد انه سيكون موضوعاً جيداً.

ابتسمت المرأة الشابة لهذه الثقة العمياء، ولم ترد للمرة الثانية أن تخيب آمال صديقتها، وفكرت في أنها ربما تستطيع عمل موضوع عن "بريتاني" ذلك المجتمع الذي تعيش فيه منذ فترة تزيد على اثني عشر يوماً.

قالت "أورينا" أخيراً بلهجة واعدة:

– سوف أتصل بك قريبا.

ردت "باتريس" قائلة:

– إنني أعتمد عليك، وأرجو أن تسامحيني إذا كنت قد أزعجتك حقيقة، هل كل شيء على مايرام؟

كان سؤال "باتريس" هادئاً ولطيفاً حتى على الرغم من سذاجة طرحه. كانت صداقة المرأتين الشابتين تحمل الكثير من الفضولية المتبادلة. هذا فضلا عن أن الأيام الأخيرة والتي شهدت النهاية

المفاجئة وغير المتوقعة لأوهام "أورينا" قد جعلت حالتها النفسية يرثى لها، وهو بالتأكيد ما شعرت به "باتريس" بحسها الأنثوي المميز.

ردت "أورينا" على سؤال صديقتها:

– نعم، أعتقد أنني أفضل حالا منذ تلك الليلة، وأنا قد انشغلت بمركب كبير أحمر اللون..

– مركب شراعي أحمر اللون!

كانت الدهشة واضحة في صوت "باتريس"، ضحكت "أورينا" ضحكة صغيرة، وبدأت تشرح لصديقتها قائلة:

– نعم، "آريان". إنه يعود كل ليلة إلى الميناء في اللحظة التي تدق فيها الساعة معلنة نصف الليل، ولم ير أحد حتى الآن قائد هذا المركب.

هنا، شردت المرأة الشابة بفكرها قليلا... ولكن، أليس ذلك من الفضائل بالنسبة لمن يمتهن مهنة من خصائصها أن تجعل الإنسان يحلم؟

هتفت "باتريس" كمن وجد ضالته قائلة:

– حسنا، ها هو موضوع مقالك. إنني أرى العنوان مثيراً: "لغز آريان". هذا حسن، أليس كذلك؟

ردت "أورينا" قائلة:

– سوف نتحدث عنه فيما بعد، عندي عمل الآن..

وضعت "أورينا" سماعة التليفون، وقد فارقتها كل رغبة في النوم. بشكل آلي اتجهت إلى النافذة، ثم إلى شرفة الحجرة. كان مكان رسو "آريان" خالياً مثل كل يوم، المركب الشراعي الكبير يُبحر منذ الصباح الباكر.

قررت "أورينا" بدافع من الفضول المهني أن تبدأ في البحث وراء لغز المركب الأحمر. من المحتمل أن ذلك لن يفيد في شيء، وتكون نهاية البحث - مهنيا - غير مجدية، لكن "أورينا" شعرت بأن ذلك على الأقل سيفيد رغبتها الفضولية في التعرف إلى "آريان" وصاحبه.

أخذت حماماً سريعاً، واختارت ما ترتديه. في واقع الأمر، لم يكن في حقيبة ملابسها التي حضرت بها إلى "كيبيرون" سوى بنطلونات جينز أو قطيفة فضلا عن هذا بعض الـ"تي - شيرتات". كانت "أورينا" في حاجة إلى هذه الإجازة التي تقضيها في "بريتاني" لاستعادة توازنها وليس من أجل شيء آخر، كانت في أمس الحاجة لهذه الإجازة بعد الأسابيع القاسية التي مرت بها.

في أقل من ربع الساعة كانت قد جهزت، ولم تتناول إفطارها الذي أحضره لها صاحب الفندق. اتجهت صوب الميناء وهي تتساءل فيما بينها: "كيف يمكن أن تبدأ رحلة بحثها"؟

في سوق السمك، كان البائعون - تقريبا - قد فرغوا من بيع صيد الصباح.

اختلطت "أورينا" بجموع المشترين. ربما كان هؤلاء الصيادون يعرفون لغز المركب "آريان".

عندما انفض السوق، وانتهى الباعة من بيع بضاعتهم، تبعت المرأة الشابة مجموعة من الصيادين إلى أحد مقاهي البلدة الشعبية. جلست بالقرب من خليج البلدة على إحدى المناضد، وشرعت في سماع الأحاديث لعلها تجد إجابات عن أسئلتها. التي كانت تفكر في كيفية إلقائها عليهم، لكن لم يتسع لها الوقت حتى تجد حلا لهذه المشكلة. اقترب منها أحد الصيادين،

كان طويل القامة يرتدي ملابس الصيادين وحذاء ذا رقبة طويلة. بادرها بالقول:

- إنه شيء نادر أن نجد سائحة في هذا المقهى.. هل تتفضلين بتناول كأس معنا؟ كأس صغير.

ترددت "أورينا" وشعرت بأنها قد عادت مرة أخرى طفلة خجولة لا تقدر على الحراك، ولا تعرف كيف تتصرف، كيف يمكن أن ترفض بدون أن تغضب الرجل؟

قال الصياد:

- يبدو أنك قليلة الخبرة.. هل فقدت القدرة على الرد؟

ضحك رفاقه بصوت قوي وعال مما جعل "أورينا" تحمر خجلا وتفقد كل قدرة على التصرف. خلال عدة دقائق عاشتها "أورينا" كأنها دهر، بدأ الصيادون في الانصراف بعد إشارة من أحدهم، ووجدت "أورينا" نفسها بمفردها في المقهى بصحبة أحد الرواد الذي لم تلاحظ "أورينا" وجوده من قبل. كان الرجل جالساً إلى مشرب المقهى. كان يبدو على الرجل التردد.

كان يقدم رجلاً ويؤخر الأخرى، لكنه أخيراً قرر واستدار ناحية "أورينا" قائلا:

- يجب أن تفهمي طبع هؤلاء الرجال. إنهم قساة إلى حد ما.

فهمت "أورينا" قصد الرجل مباشرة، ابتسمت بلطف وقالت:

- لم أكن أرغب في ذلك، ربما لو كنت حمقاء لتركت المقهى، لكنني ببساطة لم أجد رداً مناسباً.

حرك رأسه ليؤكد لها صدق كلامها. وبعد فترة من الصمت قدم نفسه إليها قائلا:

- إنني بائع تحف نادرة. محلي لا يبعد سوى خطوتين من

الميناء. هل يروق لك...

فكرت "أورينا"، لم يكن لديها أي رغبة في زيارة محل تعرف جيدا أنه لا يحوي سوى الغريب من البضاعة التي تناسب سكان هذه القرية الصغيرة. لا شك في أن ذوقه سيئ، بل ربما كان يحوي أواني طهي من النحاس قد تحولت إلى ساعات حائط. همت بالرفض عندما تذكرت أن المحل يقع أمام المرسى في المكان الذي يبيت فيه "آريان". إنها تبحث عن أي شخص يمكن أن يمدها بمعلومات. ربما يكون هذا الشخص هو التاجر الذي أمامها. ردت على دعوته:

– سوف أزوره بكل سرور.

دفع الرجل حساب المشروب الذي تناولته "أورينا" ثم اتجها إلى خارج المقهى. ولأول مرة لاحظت "أورينا" جيدا مضيفها، كان قصير القامة في العقد السادس من عمره، لم يكن به أي علامات مميزة سوى نظرة عينيه. في حياتها لم تر "أورينا" عيونًا مثل عيني هذا الرجل.

إنهما حمراوان وصفراوان. لم يكن هذا الاحمرار من الدماء لكنه كان من الشراب الذي من الواضح أنه يفرط فيه، كانت عيناه حمراوين لا بريق لهما سوى بعض النقاط الصفراء. عندما كانت عيناه تلتقيان بعيني "أورينا" كان شعور عميق بعدم الأمان يسري في بدنها، ولم تكن تعرف سببًا لذلك.. ثم ما يلبث أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه مثل السحابة الداكنة الملبدة بالغيوم التي تذهب بعيدًا بفضل الرياح. كان التاجر يرتدي نظارة ذات عدستين تدلان على مظهر رجل عجوز. كان محل الرجل لا يبعد سوى عدة أمتار من المقهى. بعد أن فتح

الرجل الباب الحديد للمحل، رحب بـ"أورينا". كما توقعت "أورينا" فقد كان المحل يحوي العديد من المنتجات والبضائع الغالية الثمن والتي لا قيمة لها.

في الواقع، كان من ضمن البضائع أثاث مثير وتحف من المدهش أن توجد في هذا المكان. كان جو المحل ثقيلا لا يمكن تخيله. كان الرجل يجلس على كرسي من ذلك النوع الموجود في دور العبادة والذي كان يشغل جزءًا كبيرًا من مساحة المحل. من تحت نظارته التي كانت تخفي عينيه لم يكف الرجل عن ملاحظة "أورينا". سرت رعشة في بدن "أورينا"، لم تستطع أن تحدد منبع القلق الذي يسيطر عليها. أمن الرائحة الغريبة التي تنبعث من هذه الأشياء العجيبة، أم من وجود هذه البضائع الغريبة التي عفا عليها الزمن؟ هزت "أورينا" رأسها كما لو كانت تطرد هذا الإحساس المتعب من أفكارها، وتوجهت إلى بائع التحف قائلة:

– إنك تملك قطعًا رائعة الجمال.

ردّ الرجل بتفاخر قائلا:

– أشكرك، لقد انتهى الموسم. لا يجب الأخذ في الاعتبار بالأسعار المدونة.

استمر الرجل في حديثه. بدأ حديثه غير المؤثر يقلق، ذكر بعض المعلومات عن طراز "لويز الخامس العشر"، ولاحظت "أورينا" أنه لا يعرف شيئًا.

"بالنسبة لبائع نوادر فيبدو على الرجل أنه لا يحيط جيدًا بمهنته. كذلك فإن بعض البضائع غير مقدرة الثمن بشكل واقعي على الرغم من ارتفاع الأسعار خلال "موسم الصيف".

هكذا سرحت المرأة بفكرها، ولاحظت أثناء تجولها شمعدانًا

فضيًا. حددت أنه يعود تاريخه إلى منتصف القرن السابع عشر، وكان السعر المدون عليه لا يناسب قيمته.

أشارت إلى الشمعدان قائلة:

– هذا الشمعدان..

– آه، ليس له قيمة كبيرة. أعتقد أنه حديث. يمكن أن أبيعه لك بنصف الثمن المكتوب عليه.

لم تناقش المرأة كثيرًا الرجل، ودفعت الثمن المطلوب في الحال.

قبل الرجل أوراق البنكنوت التي وضعتها "أورينا" في جيبه، ولم يحاول حتى أن يعدها. توجه الرجل إلى زبونته وقد ترك أخيرًا مقعده.

خلع نظارته وبدأ يتفحص المرأة الشابة بعينيه الغريبتين، وقد أضاءهما للحظات ضوء فضولي، فكرت "أورينا" وحدثت نفسها قائلة:

"لمعان جنوني يبدو في عيني هذا الرجل، كما يقال عن جنون العلماء في الأفلام".

قال لها الرجل:

– ماذا تفعلين في "بريتاني" في بدايات الخريف؟ إن هذا ليس موسم السائحين، وعادة ما يكونون نادرين في "كيبيرون".

"عن أي شيء يسأل هذا الرجل؟ أليس من حقي أن أذهب إلى أي مكان أريده، وفي الوقت الذي أرغب فيه، ألست حرة"؟!

على الرغم من ضيق "أورينا" بسؤال الرجل إلا أنها ابتسمت له قائلة:

– إنني في احتياج إلى الراحة، في حاجة لأن أكون بمفردي، وأعتقد أن...

– هز الرجل رأسه، ولبس نظارته مرة أخرى، فعاد إليه مظهر التاجر المتواضع قال لها وهو يتفحص الشمعدان الذي بيدها:

– لقد قمت بعمل جيد.

أدارت "أورينا" الحوار إلى المركب الشراعي الذي يثير اهتمامها كموضوع صحفي وقالت للرجل:

– يوجد أحيانا مركب جميل يقف أمام محلك، أتمتلك هذا المركب.

– لا.. مطلقا! إنني حتى أشك في سلامة عقل صاحبه، لا نراه مطلقا على الرغم من وجوده في البلدة منذ خمسة عشر يومًا. إنه يرحل عند الفجر ولا يعود إلا متأخرًا. أعتقد أنه لا ينام مطلقا.

– ألم تشاهده ولا مرة؟

كان فضول المرأة في قمته، لكنها تأكدت الآن أن مالك المركب موجود بالفعل. إنه إنسان من لحم ودم مثل كل الناس.

ردّ الرجل قائلا:

– آه.. لا، مطلقا لم يره أحد! إنني أقص عليك ما يحكيه الصيادون، أحيانا يلتقون به في عرض البحر. إنه بمفرده على المركب، ولا يكلم أحدًا.

شعرت "أورينا" بمزيد من الفضول ينمو بداخلها بحكايات هذا اللغز.

– ألا يعرف أحد عنه شيئًا؟

ضحك الرجل كما لو كانت أسئلة زبونته قد أثارت سخريته:

– بلى، كنا نشاهده هنا من قبل، أقصد العام الماضي. كان يُبحر مع امرأة شابة جميلة، زوجته على ما أعتقد. لقد أتيا إلى هنا، واشتريا بعض الهدايا. كانا يخرجان كثيرًا. كنا دائما

نشاهدهما في المطاعم وفي المراقص... ليس مثل الحياة التي يعيشها الآن.

– أتعتقد أنه بمفرده هذا العام؟

– يقولون ذلك.

ساد الصمت بينها لفترة شعرت خلالها تحرك شك البائع في أسئلتها. مرة أخرى خلع نظارته، وتفحص المرأة الشابة بنظراته الغريبة، وتوجه إليها قائلا:

– هل جئت في الواقع لتستريحي في "كيبيرون" أم أنك تتدخلين فيما لا يعنيك مثل الآخرين؟

كان السؤال الأخير يصاحبه إشارة بذقنه في اتجاه الميناء. تساءلت "أورينا": "من الآخر"؟. هل يعني ذلك صاحب مركب "آريان"؟ ويتدخل في أي شيء؟ إن هذا كله لشيء غير مفهوم"!.

عاد التاجر إلى ابتسامته العادية ولبس نظارته مرة أخرى قائلا:

– أتمنى أن تكوني سعيدة بما اشتريته.

أمسك الرجل بكتف "أورينا"، وهو يلقي بجملته الأخيرة، وبدأ يتجه إلى باب المحل. فكرت "أورينا": "إن هذا الشيء غير معقول، كما لو كان الرجل يطردني من المحل، مثلما يفعل المدرس مع التلميذة غير المهذبة".

استطرد الرجل قائلا على مشارف باب المحل:

– آه! أتذكر شيئًا بخصوص صديقنا مالك القارب، أعتقد أنه كاتب أو شيء من هذا القبيل، لكنني لن أستطيع أن أتذكر لك اسمه! أتشرف بزيارتك مرة أخرى، يمكننا أن نتحدث، أيضا سأحصل على قطع جميلة ربما يروق لك شيء منها...

غادرت "أورينا" المحل يغمرها شعور بالضيق. كان أسلوب

تاجر السلع المستعملة وشخصيته المزدوجة التي أحيانا ما تكون لطيفة وودودًا، وتتحول إلى شخصية محقق ومتفحص شاك وقلق عندما يخلع نظارته ويتفحص زبونته بعينيه الحمراوين اللتين لا بريق لهما، كل ذلك أثار خوف واضطراب المرأة الشابة.

هذا فضلا عن صاحب القارب المسمى "آريان" الذي كل معلومة جديدة حول شخصيته تزيد لغزه غموضا. لقد تطور الأمر وأصبح أكثر من مجرد مقال صحفي تريد إنجازه. الآن "أورينا" تبحث عن هذا الشخص، من هو: وماذا يفعل في "كيبيرون"؟ ولماذا يبحر هكذا بدون توقف؟

طوال النهار انشغلت الصحفية الشابة بالبحث والتحري عن صاحب القارب، لكنها لم تستطع أن تتوصل إلى شيء جديد لم تعرفه من قبل، كما لو كان تاجر التحف قد قال لها كل ما هو معروف عن مالك القارب.

"إذن سوف أستخدم طريقة مباشرة. بما أن الوقت يمر وليس أمامي سوى يومين لأكتب مقالي وأرسله إلى الجريدة". هكذا فكرت "أورينا". وقضت فترة ما بعد الظهيرة في نزهة خلوية على الشاطئ. كانت الريح عندما تهب تداعب خصلات شعرها الأسود. شعرت "أورينا" بالطمأنينة والسلام مع نفسها لأول مرة منذ وقت طويل. كان لغز "آريان" يجذبها تماما.

الفصل الثاني

– ماذا تريدين مني؟

طُرح السؤال بدون أي أسلوب عدواني لكنه كان واضحًا في

إلقاء السؤال مع شيء من السخرية. كان رد فعل "أورينا" المعتاد في مثل هذه المواقف هو إظهار الاستياء من هذا الأسلوب العدواني، وغالبا ما يكون سلوكها وتصرفها قويًا وعنيفًا. لكنها في ذلك الموقف شعرت بعدم قدرتها على الرد وقررت أن تنكر ما حدث مثل الطفل الذي وقع في خطأ ما ويخشى من العقاب.

– أنا لا أفهم شيئًا...

– هيا...

ضحك الرجل ضحكة قصيرة قبل أن يستكمل كلامه، وقد أصبحت نبرة صوته جادة:

– مساء أمس، كنت موجودة هنا عند عودتي إلى المرسى. هذا المساء أيضا، ولن أتكلم عن الليالي التي كنت موجودة فيها، ولم أعر لوجودك أي اهتمام، إذن بماذا تردين على ذلك؟

التزمت "أورينا" الصمت، ما ذكره قائد المركب اللغز "آريان" كان صحيحا إنها تراقبه.

في نهاية فترة بعد الظهر، كانت "أورينا" قد اتخذت قرارًا سريعا أثناء عودتها من رحلتها إلى الشاطئ بأن تتحرك سريعًا، وتحاول جمع كل المعلومات الممكنة عن صاحب المركب اللغز، وذلك حتى تستطيع كتابة مقالها الصحفي.

فجأة، وضع رجل "آريان" يده على ذراع "أورينا" وأحاطه برفق بأصابعه، وقال:

– يجب أن تتحدثي...

هذه الملامسة التي لم تكن عنيفة ولا عدائية أجبرت "أورينا" على أن تقطع صمتها:

– لنقل إنك تثير اهتمامي، وأريد أن أعرف قصتك.

– من أرسلك؟

المرأة الصحفية التي كانت تحتفظ بنظرها إلى أسفل خجلاً، رفعت عينيها ودققت في محدثها. كان عمر الرجل ثلاثة وثلاثين عامًا أو أربعة وثلاثين. جمال وجهه الذي كان ملفتًا للنظر ظهر عليه الكد والتعب من كثرة الإبحار. كان يرتدي "بلوڤر" أزرق اللون، وبنطلون من الچينز المتسخ من ماء البحر، لكنه على الرغم من ذلك المظهر العملي وغير المهندم كانت هيئة الرجل تدل على أرستقراطيته. شعره الذهبي غير الممشط، وعيناه اللامعتان ببريق أخاذ كانتا تكملان جاذبيته النادرة.

قال الرجل بلهجة يملؤها الإصرار:

– يجب أن تخبريني، من أرسلك؟ إنه هو؟

كان سؤاله الأخير مصحوبًا بحركة من رأسه ناحية الرصيف، بشكل عفوي، نظرت "أورينا" خلفها ولم تر أحدًا في الخلف. قالت:

– من هو؟

هز البحار "آريان" كتفيه، وقال بصوت منخفض:

– لا يهم.

ظهر عليه فجأة عدم الاكتراث بالمشكلة، وتفحص المرأة الشابة بتركيز أكثر قائلا وهو يتلعثم:

– لا يُصدق أنك تشبهينه، أخبريني باسمك...

كانت نبرة صوته مختلفة عن أسلوب حديثه في اللحظات السابقة، لم تكن تلك النبرة الآمرة، لكنها الآن رجاء متواضع يصدر من محكوم عليه. ارتعشت "أورينا" من أعماق ذاتها، وردت بشكل تلقائي:

– إنني أدعى "أورينا بالكسيو"، أعمل صحفية.

لم ينبس الرجل بكلمة، لكن امتعض وجهه وظهرت عليه علامات الحزن. شعرت "أورينا" بأنها على وشك اعتراف لم يأت. قال أخيرًا:

– "أورينا".. "أورينا". "آريان"... القصة تتكرر مرة أخرى بشكل مثير للدهشة فقد الرجل هدوءه، صاح بعلو صوته قبل أن يقول:

– يجب أن تكوني حذرة! صحفية... سوف يعتقدون أنك تقومين بالتحري عنهم. إنهم خطرون، لكنني سوف أصل... آه، سامحيني، أحيانا لا أعني ما أقوله، وأتحدث في أي شيء.

هدأت ثورته سريعًا، وعاد إليه هدوءه واتزانه. انحنى انحناء جنتلمان أمام "أورينا" قائلا:

– لكنني لم أقدم نفسي، أدعى "أرنو دي مونبريان".

رددت "أورينا" الاسم الذي دوى في أذنيها. إنها تعرف هذا الاسم الذي ارتبط بقصة حزينة مفجعة في الآونة الأخيرة. كانت "أورينا" تتذكر مقتطفات من هذه الفاجعة.

احترم الرجل سكوتها، وظل يتأملها بشكل واضح. كانت نظراته الطويلة إليها ربما تكون باعثًا لها – في غير هذا الموقف – أن تسلك سلوكًا بذاته، لكنها في هذه المرة لم تفكر في أي شيء، ولم تنزعج من هذا التفحص الدقيق.

أثناء ذلك كانت "أورينا" تحاول أن تستجمع أكبر قدر من المعلومات من ذاكرتها حول قصة الرجل. "أرنو دي مونبريان". واحد من الرجال العباقرة الذين يمكنهم تحقيق النجاح في أي مجال. كان رجل أعمال، كاتبًا، مغامرًا وأيضا باحثًا. كان دائم

الظهور في كل المجالات بشكل أو بآخر.

صاحت "أورينا" فجأة قائلة:

– "آريان دي مونبريان" لقد وجدتها...

قفز الرجل من مكانه كمن هبط من حلم جميل عاش فيه لدقائق ماضية.

– ماذا قلت؟ كيف تعرفين هذا الاسم؟ ماذا تعرفين عن "آريان"؟

فجأة وبدون أن ينتظر سماع إجابات أسئلته التي ألقاها، استدار "أرنو دي مونبريان" سريعا وقفز إلى قاربه. في لحظات كان قد دخل إلى قمرته وأغلق الباب على نفسه ليختفي عن أنظار الصحفية الشابة ولم يضئ أي أنوار في مركبه، وظل قائد المركب في الظلام بمفرده.

أثار هذا الاختفاء المفاجئ وغير المتوقع "أورينا" التي ترددت فيما يجب أن تفعله، ثم ما لبثت أن اتجهت صوب الفندق، كان الوقت متأخرًا، ومع ذلك لم تشعر "أورينا" بأي رغبة في النوم. على العكس من ذلك، فإن تداعي الأحداث في فاجعة "أرنو دي مونبريان" قد أثار فضولها أن تظل يقظة حتى تستجمع كل أحداث تلك القصة المأساوية من ذاكرتها.

وصلت "أورينا" إلى بوابة الفندق الذي تنزل فيه، وقعت عيناها على موقف الدراجات الخاصة بالنزلاء والذي تخصصه إدارة الفندق للنزيل لتكون تحت تصرفه دراجة خاصة به يستخدمها في التجوال وقتما يريد. شعرت بالرغبة في أن تقوم بجولة ليلية، كان طقس الليل في ذلك الوقت معتدلاً.

ركبت "أورينا" دراجتها، وبدأت تنطلق إلى الغابة التي تقع في

أطراف القرية. كان المجهود البدني الذي تبذله المرأة أثناء ركوب الدراجة دافعًا قويًا فكريًا للصحفية أن تسترجع كل وقائع القصة المتعلقة بـ"أرنو دي مونبريان" والتي جرت أحداثها منذ أشهر قليلة: في صباح ذات يوم اختفت "آريان دي مونبريان" زوجة الرجل الذي قابلته "أورينا" منذ قليل. بطبيعة الحال فإن "أرنو" بدأ في البحث عن زوجته بشكل جدي وقلق. بعد أربعة أيام تم اكتشاف جثة المرأة وقد قتلها مجهولون. تحقيق البوليس لم يسفر عن شيء على الأقل فيما تعلمه "أورينا" "لكن.. إنه هنا في "كيبيرون" قد وُجدت الجثة! إنني متأكدة أن وجود الزوج هنا ذو علاقة بمقتل زوجته" تذكرت الصحفية الشابة فجأة هذه المعلومة المهمة. وهكذا فإن وقائع "قضية مونبريان" كما أطلقت عليها الصحافة آنذاك قد اكتملت تفاصيلها في ذهن "أورينا" إلا فيما يخص الظروف والملابسات التي أحاطت بجريمة قتل "آريان دي مونبريان".

"إنه هنا في "كيبيرون" . أنا واثقة بذلك الآن، لكن هناك قصة أخرى تتعلق بهذا المشهد الدموي. هنا لا أتذكر جيدًا. في الواقع كنت في ذلك الوقت في "أمريكا" الجنوبية..." .

عاد إلى ذاكرة المرأة الشابة واختلط بوقائع قصة موت "آريان دي مونبريان" صور وأحداث أتت المرأة خصيصًا إلى "بريتاني" لكي تنساها. إن هذه الرحلة إلى "أمريكا" الجنوبية كانت البداية لآلامها ومتاعبها. في هذا الوقت، قابلت "فرنسيا" حيث خدعها بقسوة قاتلة.

وصلت "أورينا" إلى الطريق الصاعد الذي يؤدي إلى منطقة الغابات. كانت الرياح شديدة وتقاوم تقدم "أورينا" التي كانت مصرة على السير. كانت تنوي القيام بجولة طويلة تقطع خلالها

عدة كيلومترات ثم ما تلبث أن تعود قاطعة الطريق المحلي الذي يربط شبه الجزيرة بـ"بريتاني".

انقشعت سحابة كانت تخفي القمر الذي تلألأ في السماء وسطع بريقه على الأرض البائرة. أثارها حسها الداخلي فجأة فتركت "أورينا" الطريق الكبير واتجهت إلى طريق فرعي بداخل الأرض البائرة. كان هذا الطريق الفرعي يبدو لها كما لو كانت ستصل من خلاله لوجهتها.

بعد وقت قصير، أصبح السير في ذلك الطريق غير الممهد صعبًا، وكان لابد أن تنزل من على دراجتها. واصلت "أورينا" السير وقد أخذتها عزيمة راسخة تدفعها لتكملة ذلك الطريق. كانت الحاسة السادسة قوية لدى الصحفية الشابة ذلك الحدس الوظيفي الذي يجعل الشخص صحفيًا ناجحًا فيتوقع الحدث ويسعى إليه قبل وقوعه. كان عقلها وشعورها يدفعانها إلى أن تستمر في ذلك الطريق ويمنعان عزيمتها من أن تخور. كان الطريق على جانبيه مليئًا بأشكال من الدُلمن والمُنهير: تلك النصب الحجرية التي تعود إلى ما قبل التاريخ، وهي تمثل أشكالاً مختلفة من الحجارة موضوعة بأشكال معينة تجعل منها نُصب صخرية أفقية وعمودية. كانت المرأة تلاحظ تلك النصب الصخرية أثناء سيرها بتركيز وفضول. شعرت المرأة بأنها كما لو كانت في بلاد الغاليّين. إن كل ثقافة "سلتية" أو "غالية" إنما نبعت من هذا الإقليم، والتراص الشهير لمعبد "الكرنك" ليس ببعيد. أرض شاسعة من الحجارة المرصوصة بعد عمل وجهد شاق طويل وهي موضوعة بترتيب شديد وصارم يخضع لقوانين غير معروفة، تذكرت "أورينا" وحدثت نفسها "على ما أتذكر

جيداً فقد كان هناك تضحيات بشرية دائمة. إنما أساس حضارتنا هو العنف والدم". كان الطريق الذي تمشي فيه "أورينا" يضيق بشكل يصعب السير فيه. كانت تدفع دراجتها، ومن لحظة إلى أخرى تتردد في تكملة سيرها، لكنها كانت تواصل السير يدفعها إلى ذلك حس داخلي.

فجأة دوى في الأفق صريخ عال. كان صوت نسائي يستغيث. ظهر للحظة ولكنه ملأ الأفق وتلك الأرض البائرة بقلق محير. تجمدت الصحفية الشابة للحظات في مكانها من هول ما سمعته. قالت لنفسها: " ماذا يحدث؟ من أين تأتي هذه الاستغاثة؟ يجب أن أفعل شيئا ما" ...

كان عن يمينها سور عال يرتفع نحو مترين، لاحظت "أورينا" حركة تنبعث من ذلك المكان. إذن فالصوت لابد أن يكون قد أتى من هنا. قالت تحدث ذاتها: "اقفزي فوق ذلك السور لتري ما يحدث خلفه. لكن ذلك ربما يكشف وجودي.. لكن هذه الصرخة.. إنها صرخة ألم، صرخة استغاثة لطلب نجدة"...

لم تجرؤ "أورينا" على القيام بأي حركة، ليس خوفاً على نفسها ولكن خشية أن يكون ظهورها سببًا لأي أذى قد يلحق بالمرأة التي صدر منها صوت الاستغاثة.

صرخت ثانية أكثر خوفًا من سابقتها صرخة رنت في الفضاء، كانت مثل صوت الذبيح الذي يهاجمه الجزار، تقريبا في نفس اللحظة اختفى القمر خلف سحابة وانطفا نور مثل هذه الليلة من شهر أيلول (سبتمبر) على صوت صريخ جماعي ملأ تلك البقعة من الأرض، لم يكن هذه المرة صوت المرأة المستغيثة وإنما كان صوت جماعة تئن من اختفاء القمر.

"ماذا يحدث هنا؟ هذا ليس. حقيقيًا، سوف أجن. هكذا حدثت "أورينا" نفسها سريعًا، تركت دراجتها عند إحدى الأشجار وتقدمت بخطوات حذرة نحو السور حتى تستطيع رؤية ما يحدث في الجانب الآخر. عند اقترابها من السور، سمعت "أورينا" كلمات سريعة تلقى بأسلوب آمر، لم تفهم المعنى فقد كانت بلغة لا تتحدثها "أورينا". قالت لنفسها: "هذه ليست ألمانية، إذن لكنت قد فهمت معنى الكلام. ألمانية أو ربما إنجليزية بلهجة غريبة؟". كانت الحجارة تملأ المكان، واكتشفت "أورينا" منفذًا استطاعت أن تمد بصرها عبره لتلقي نظرة، في البداية لم تر شيئا.

كانت النباتات وأغصان الأشجار تتدلى بشكل تصعب معه الرؤية، لكنها استطاعت أن تبعد بعض الأوراق لترى ما يحدث. كان الصمت قد خيم على المكان في الجانب الآخر من السور. أخيرًا استطاعت "أورينا" أن ترى شيئا بالمصادفة. سرت رعشة قوية في جسدها مما رأت. حدثت نفسها: "هذا ليس ممكنًا! نحن في نهاية القرن العشرين! إنه لجنون.. جنون كامل"...

انكشف أمام نظرها مساحة عريضة من المكان مليئة بنبات الجولق وتمثل برحة بين الأشجار كان حوالي ثلاثين شخصًا متجمعين في وسط المكان الخالي يرتدون قمصانًا بيضاء طويلة تعطي لهم مظهرًا من الخيال واللامعقولية. كانت هذه الأشباح البيضاء منظمة الجلوس على شكل دائرة تحيط بشيء ما لم تستطع "أورينا" أن تتعرف إليه، فجأة، انقشع حجاب القمر وتلألأ ضوءه وملأ نوره الأرض البائرة من جديد.

جرت همسات الفرحة بين الجالسين وركع الجميع لعودة ظهور

القمر مرة أخرى.

في هذه اللحظة التي انحنى فيها الأشباح البيض، استطاعت "أورينا" أن ترى ما كان مختفيًا ويحيط به الجالسون. على صخرة منصوبة، هناك شبح يرتدي قميصًا طويلا أبيض لكنه كان يخفي وجهه بشيء مثل الشال. كان أمام الشبح الأبيض امرأة جاثية على ركبتيها ويداها مربوطتان خلف ظهرها. شقراء منحنية الرقبة إلى أسفل. على غير العادة والزي الأبيض الذي كان يرتديه كل الحاضرين في الاحتفال، كانت ترتدي قميصًا من اللون الأحمر الدموي. فكرت المرأة الشابة بشكل عفوي، واندهشت لهذا التقارب الفكري وللأشياء التي قفزت إلى ذهنها فجأة وقالت في نفسها: "لون هيكل المركب "آريان". بعد عودة القمر للظهور وتهليل الحاضرين استطاعت "أورينا" أن ترى مسرح الاحتفال بشكل أفضل بعد تحرك الحاضرين وتنظيم صفوفهم من جديد. قالت "أورينا" لنفسها: "يجب أن تكون هذه المرأة هي التي صرخت مرتين، والآخر الذي يقف على ذلك النصب لابد أن يكون ذلك الرجل الذي تحدث بلغة لم أعرفها"...

علا همس الحاضرين من جديد، انحنى إلى الأمام الرجل الذي كان واقفا على النصب. كان واضحا أنه هو الذي يدير الاحتفال، عندما عاد إلى وضعه الطبيعي ظهر في يده شيء طويل يلمع. عرفت "أورينا" سريعًا أنه ساطور. قالت لنفسها: "إن ذلك احتفال ديني للغاليين، إن ذلك ليثير الدهشة... لكن في الواقع، كثير من الأقاليم تشتهر بمعتقداتها القديمة على أن إقليم "بريتوني" له تاريخ طويل مع تلك المعتقدات مما يجعل ما أرى غير مثير للدهشة".

صرخت المرأة ذات الفستان الأحمر الطويل صرخة ثالثة عندما

جذب المحتفل بالقداس شعرها وشد رأسها إلى الخلف. بحركة بطيئة ومهيبة رفع الرجل ذو القناع الساطور إلى أعلى. أثارت الحركة المشاركين في الاحتفال وظهر توترهم وبدأوا ينشدون بصوت منخفض - غناء رتيبًا حزينًا. فكرت "أورينا": "إن ذلك ليس حقيقيًا. إنهم سوف يقتلونها! وأنا لا أستطيع التدخل.. واحدة ضد ثلاثين، لن يكون عندي أي فرصة.. يجب أن أذهب لأبحث عن النجدة"!

لكن هول الموقف الذي تشاهده شل حركة الصحفية، وظلت ساكنة كما الحال في العبادات البربرية، فإن وحشية الجريمة التي أمام عينيها ملأت قلبها وجسدها خوفًا وهلعًا. عدم قدرتها على استدعاء النجدة لتلك المرأة المسكينة، وعجزها عن أن تتصرف ملأ صدرها بشعور من الخوف لا يُمحى.

ازداد غناء الحاضرين حدة، وارتفع صوت الإنشاد، وكذلك الإيقاع. حدثت "أورينا" نفسها قائلة: "لابد أن هناك شيئًا سوف يحدث". بهدوء بدأ ذراع كاهن الاحتفال الممسك بالساطور ينزل شيئا فشيئا نحو رقبة المرأة التي كانت في مواجهة نصله. خارت عزيمة المرأة، وضعفت إرادتها أمام أي مواجهة واستسلمت لمصيرها. لم تنبس المرأة ذات الفستان الأحمر الدموي ببنت شفة ولم تحاول المقاومة. في الوقت الذي كانت الآلة الحادة لا تبعد سوى عدة سنتيمترات من رقبتها. سرت رعشة قوية في جسد المرأة كانتفاضة جسد المشرف على الموت.

قالت "أورينا" لنفسها وقد استجمعت قواها فلم تستطع أن تغلق عينيها وتجذبها المأساة التي تشهدها بشدة: "يجب أن أرحل لأخبر البوليس. حتى إذا لم أستطع إنقاذ تلك المسكينة

فيجب على الأقل أن يُلقى القبض على أولئك القتلة" ... هبت المرأة واستعدت للانطلاق بدراجتها بكل قوة وأقصى سرعة عندما بدأ صوت النشيد الذي يتغنى به الحاضرون يخفت فقد كان القمر مختفيا من جديد وراء سحابة. هكذا سقط ذراع الكاهن إلى جانبه، وسرت همسات القنوط بين الحاضرين لتحل محل الإنشاد الرتيب. فكرت "أورينا": "يبدو أن ذلك الاحتفال نوع من العبادة القمرية. في اللحظة التي يختفي فيها النجم من السماء فإن كل شيء يتوقف. يبدو أن هذه الجريمة الشعائرية لابد أن تتم في ضوء القمر الكامل"..

بهدوء في محاولة لإخفاء أي صوت صادر عن حركتها، اتجهت "أورينا" إلى دراجتها التي كانت ساكنة عند إحدى الأشجار. سريعا أدارت اتجاه الدراجة وانطلقت.

كانت لابد أن تستفيد من كل دقيقة، فمصير تلك الضحية المسكينة ربما يتوقف على سرعة إحضارها للشرطة، كانت تبذل بآخر طاقة لديها على الرغم من صعوبة الحركة وسط الرمال، لكنها استطاعت بعد مجهود بدني شاق أن تصل إلى الطريق الممهد. رفعت "أورينا" نظرها إلى السماء وهي تهبط بدراجتها أحد المنحدرات. كانت الغيوم الكثيفة القادمة من البحر تحجب كل ضوء للقمر. في الواقع كانت تلك فرصة مناسبة لـ"أورينا" حتى تستطيع أن تنجز مهمتها. كانت تشحذ قواها "سريعا، سريعا، لا يجب أن أضعف"... كان قلب "أورينا" يخفق اضطرابا، كانت عضلات قدميها وساقيها تؤلمها بشدة، لكن ذلك لم يكن الوقت المناسب لكي تفكر في نفسها. إن كل ما يشغل بالها الآن هو مصير تلك المرأة المسكينة الجاثية تحت رحمة مجنون وقاتل دموي. في ذروة

تلك الأحداث الأخيرة وهذه الدقائق المعدودة نسيت "أورينا" بسبب تلك الرحلة المسائية القائد الغامض لمركب "آريان".

عندما مرت "أورينا" وهي في طريقها إلى مخفر الشرطة على مرسى القوارب لم تلق تلك النظرة المعتادة على مكان رسو القارب "آريان".

وصلت "أورينا" إلى ميدان "هوش" المتفرع منه الطريق الصاعد الذي يوصل إلى محطة القطار ومركز الشرطة. خلال دقائق معدودة كانت قد قطعت ذلك الطريق الذي اعتادت أن تجتازه في وقت طويل. كان أحد الجنود نائما خلف مكتبه. فاجأته "أورينا" بصوتها المضطرب قائلة:

– سريعا، يجب أن تأتي سريعا، أرجوك...

نظر إليها الرجل نظرة يغلب عليها النعاس والدهشة من تلك المرأة التي اقتحمت عليه عزلته. قال لها:

– ماذا حدث؟ ماذا تريدين؟

– يجب أن تأتي. في الأرض البائرة هناك ناحية الأدغال، هناك رجال سوف يقتلون امرأة.

– رجال، امرأة؟ من هؤلاء؟

ازدادت عصبية "أورينا" من لحظة لأخرى لجمود هذا العسكري. أدخلت يدها في جيبها وأخرجت كارت الصحافة الذي وضعته تحت نظر الرجل الهادئ كالعادة. فإن الورقة الرسمية أتت مفعولها. في الحال انتبه الرجل لكلام المرأة الشابة وأخذه على محمل الجد. اتصل مسؤول الحراسة الليلية سريعا برئيسه في العمل في الوقت الذي بدأت "أورينا" تهدأ وتقص على الرجل ما شاهدته بشكل مبسط ومفصل في آن واحد.

– "ماذا تقولين؟ رجال يلبسون ملابس بيضاء وامرأة ترتدي فستاناً أحمر... إنهم الإنوانس"!.

الفصل الثالث

– شيء لا يصدقه عقل، على الرغم من ذلك كانوا هنا...

كانت الدهشة ظاهرة على وجه "أورينا" عندما اكتشفت أن ذلك البراح الفسيح وسط الأدغال والذي شهد الاحتفال العقائدي الدموي كان خاليا من الحاضرين الذين كانوا يملأون المكان منذ أقل من نصف الساعة. قالت مرة أخرى:

– انا لا أفهم شيئاً.

نظر إليها رجال البوليس بريبة وتشكك، كانت عيونهم تتفحصها جيداً. هل هذه المرأة التي يبدو على مظهرها الجدية تسخر منهم؟ فهمت "أورينا" ما يدور بخلد رجال الشرطة، قالت لهم بنبرة اعتراض:

–إنني أؤكد لكم. لقد كانوا هنا، كلهم حول هذا الحجر المستوي. كان منظر المكان وآثار الأقدام تؤكد مزاعم المرأة الشابة، لقد كان واضحاً أن عشرات من الأشخاص كانوا متواجدين في المكان، عدة دلائل تشير إلى ذلك. قال قائد الشرطة:

– نعتقد أن شيئا ما قد أثار حفيظتهم وضايقهم مما جعلهم يتوقفون عن ممارسة شعائرهم.

سالته "أورينا" قائلة:

– من هم الإنوانيون؟

قال رجل الشرطة الذي كان يحمل رتبة ضابط، وقد أمسك

بذراع المرأة ومشى عدة خطوات بصحبتها بعيداً عن الجنود:

– نحن يا سيدتي في "بريتوني". إنها من الأقاليم المرتبطة جداً بعادته لاسيما تاريخها السلتي. كثيرون يعتقدون ذلك التاريخ السلتي ويحترمونه بدون أن يشغلهم فكريًا أو روحيًا، لكن هناك آخرين لا يعيشون سوى لهذه العادات القديمة وبها.

كان حديث قائد الشرطة مشوشًا في بعض الجمل، شعرت "أورينا" بانها لم تفهم شرحه، وقالت لنفسها" "إنه ربما يود الكلام عن هذه الطوائف والنحل التي ظهرت منذ سنوات".

– هل تعتقد أن هناك حنينًا للعصر السلتي و...

قاطعها القائد في الحال، وقال بنبرة ليس بها صبر كما لو كان يريد أن يحدد:

– هناك أناس يتسلون وآخرون يعتقدون حقيقة. هؤلاء هم الأخطر. إن الإنوانيون لم يشكلوا لنا أي مشاكل حتى اختاروا رئيسًا لهم جديداً منذ فترة قليلة... مجنون أعاد إلى الحياة مجموعة من الطقوس البربرية.

قالت "أورينا" لنفسها: "طقوس بربرية... هذا أقل شيء يمكن أن يقال. لو أن هذا الشرطي رأى ما رأيته هنذ قليل لكان أكثر صرامة مع هؤلاء الرجال"!"

قالت تخاطبه:

– من هو ذلك الرئيس الجديد؟

نبس الرجل بضحكة سريعة، ورفع حاجبيه في حركة يمكن أن توصف بأنها كوميدية لو في غير هذا الموقف. قال:

– لو أننا نعرفه... لكن المجتمع الإنوانيون مجتمع مغلق. إن ما نعرفه عنهم إنما جاء بطريق المصادفة.

كان حديث رجل الشرطة مليئا بالإحباط وخور العزيمة. مع ذلك، كان يبدو من حديثه أنه يخفي شيئًا مهمًا، معلومة مهمة. استطاعت "أورينا" بفطنتها أن تكتشف ذلك، تعودت منذ فترة طويلة بحكم مهنتها أن تكشف الأوراق المخفية، قالت له:

– هل.. أخيرًا، أريد أن أقول...

لم تجد المرأة الشابة الكلمات المناسبة لتعبر عن كل الهول والذعر الذي شهدته، وتحاول أن تعرف شيئًا عنه. لكنها أمام نظرة الضابط المستفسرة قالت:

– هل من طقوس الإنوانيين أن يقوموا بمذابح بشرية؟

فجأة استدار رجل الشرطة كما لو كان السؤال لا يمكن احتماله. لم تصر "أورينا" على سؤالها، وفكرت بشكل ساخر: "إن هذه الإجازة في "بريتاني" لم تفض إلا إلى أشياء غامضة... مركب أحمر، طائفة سلتية تقوم بطقوس عجيبة لا شك دموية. إننا أبعد ما يكون عن "بريتاني" ذات الشواطئ الجميلة والإجازة الممتعة.

اتجهت "أورينا" في صحبة رجل الشرطة إلى سيارة البوليس الزرقاء التي جاءت فيها، فجأة نداء من الخلف جعلهما ينظران وراءهما.

– سيدي القائد! تعال وانظر..

كان أحد الجنود واقفًا في وسط البراح الذي أقيم فيه الاحتفال – ليس بعيدًا عن النصب الصخري – يمسك في يديه شيئًا أعطاه لرئيسه.

– ما هذا؟

هذا الشيء تناقلته الأيدي حتى وصل إلى "أورينا"، وأتيحت لها الفرصة لأن تتأمله. كان تمثالا صغيرًا لا يزيد ارتفاعه على

ثلاثة سنتيمترات، مصنوعا من البرنز، به أجزاء قد طالها الصدأ. على ضوء إحدى بطاريات الجيب التي يحملها عادة رجال الشرطة حاولت "أورينا" أن تحدد ماهية هذا التمثال. قالت:

– إنه تمثال لرجل واقف. إنه يحمل شيئًا غريبًا في يده.. عصا أو قضيبًا...

– لا، انظري جيدًا، ليس صحيحا. إنه يبدو شيئًا لامعًا.. لامعًا جدًا مثل "چيبتور".

نظرت "أورينا" إلى رجل الشرطة بدهشة. لم تعتقد أنه في مقدرته مثل هذا التحليل. لكنه كان كمن رأى صورا في كتالوج وأراد أن يطابقها، لكنه قليل المكر.

– "چيبتور"؟ لا، إنني أعتقد "تور" ابن "أودن" إله النور والصواعق في الأساطير السلتية.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض، كانت ملاحظة المرأة الشابة مثل الصاعقة فقد أعادت الجميع إلى المشهد السابق. إن ذلك البراح هو مسرح ومكان تجمع أعضاء تلك الطائفة السلتية. بدون شك فإن أحد الحاضرين قد نسي هذا التمثال بعد انتهاء الحفل. قال رجل الشرطة بعد فترة من الصمت:

– حسنًا، أعتقد أنه ليس هناك ما نفعله الآن... الجميع إلى السيارة.

في صمت، اتجه جميع الجنود إلى الحافلة، وظلت "أورينا" بمفردها مع قائد الشرطة وسط مكان الاحتفال البربري قالت له بدهشة:

– ألن تفعل شيئًا أكثر من ذلك؟ وهذه المرأة أسيرة هؤلاء الرجال المتوحشين.

من قال لك إنها لم تفقد حياتها بعد؟

حرك الرجل يده بحركة بدت كما لو كانت اعتذاراً ثم قال:

– ماذا تريدين أن أفعل يا سيدتي؟ هل أترك رجلاً هنا؟ إن ذلك لا يفيد. مثل هذا المكان ينتشر في الأقليم بالآلاف. كلها متشابهة: مناهير ومناضد حجرية. قرابين عديدة تمت هنا منذ آلاف السنين.

– ربما يكون هناك آثار من الدماء..... حاولت المرأة المهتمة بالموضوع جذب اهتمام قائد الشرطة الذي كان واضحاً عليه عدم الاكتراث.

– وتريدين أن نقوم برفعها في الليل وسط العشب؟ لا يجب أن تحلمي. سنعود في الصباح وعندئذ فقط نستطيع أن نرفع شيئاً ذا قيمة، لكننا لن نجد شيئاً.

– وهذا التمثال؟

– مصادفة، مجرد مصادفة.

لم يعد هناك شيء يمكن إضافته، وفهمت "أورينا" أن رجل الشرطة لسبب أو لآخر لا يريد متابعة البحث والتحري، لكنها عزمت بداخلها أن تعرف الحقيقة. قالت لنفسها: "كما لو كان يخشى أن أصل إلى اكتشافات شبيهة، أو ببساطة كما لو كان خائفاً مما سيتوصل إليه".

قال رجل الشرطة:

– من البديهي، إنني أعتمد على أمانتك الصحفية. لا يجب إفزاع السائحين، أنت تفهمين أن وجودهم مهم جداً لاقتصاد البلد...

قالت "أورينا" لنفسها: "سائحون، في شهر أيلول

(سبتمبر)؟ بمن يهزأ هذ الرجل؟

إن فندقي شبه خال. من جهة أخرى، فإن جريمة مثل التي رأيتها وهذا اللغز كل ذلك من شأنه أن يثير فضول الناس، ويجعلهم يتدفقون على المكان. في النهاية لا يجب الإصرار"..

قالت له بلهجة مطمئنة وابتسامتها تملأ شدقيها:

– بالتأكيد.

أظهر الرجل امتنانه للمرأة على موقفها والطريقة الودود التي عبرت بها. كان الرجل بدوره لطيفاً، قال لها:

– أشكرك سيدتي على إخبارنا بالواقعة، وأعتقد أنك لا يجب أن تشغلي بالك بمصير تلك السيدة، أؤكد لك أنه لن يحدث لها مكروه.

استقلت "أورينا" سيارة الشرطة بجانب السائق في الكبينة الأمامية ثم ما لبثت أن استقلت دراجتها بعد عشر دقائق من المكان الذي تركتها فيها أمام مخفر الشرطة. في ذلك الوقت، كانت "أورينا" تشعر بالتعب الشديد، بين مقابلتها في المرسى مع "أرنو دي مونبريان" وذلك الاحتفال السلتي الذي حضرته بالمصادفة، فإن ليلتها كانت مثيرة، وهي ترغب الآن في الراحة.

عندما عادت إلى الفندق لم يلاحظ الحارس وصولها فقد كان نائماً. عندما دخلت حجرتها لم تحاول خلع ملابسها، ارتمت على سريرها فقد كانت منهكة من التعب والانفعال.

عند استيقاظها في الصباح، فإن أول خاطر جاء على خلدها هو ذلك المقال الذي تطلبه منها صديقتها "باتريس". إذا كانت الأحداث في الواقع قد تطورت بشكل سريع في الساعات القليلة الماضية فإنه على الرغم من ذلك ليس هناك موضوع بذاته مكتمل

العناصر. كانت "أورينا"، على عكس كثير من الآخرين العاملين في نفس المهنة، ترفض ذلك الأسلوب الصحفي الذي يعتمد على التخمين والتوقع بدون الاستناد إلى وقائع حقيقية. حتى تستطيع أن تتكلم عن تجربة الأمس، وتصف المشهد الخيالي المرعب الذي حضرته فلابد لها أن تعرف المزيد وأن تحيط بالقصة كاملة وبادق التفاصيل. فكرت "أورينا": "لنبدأ أولا باخذ حمام منعش في المركز البحري للاستحمام، ثم التوجه إلى المرسى لرؤية "آريان" إذا كان موجوداً أم لا... هذا المركب أمره غريب. إنه - يجذبني ويشغل بالي تماما منذ عدة ساعات. هذا المركب أم مالكه"؟

كانت "أورينا" بهذه الصفة النادرة يمكن أن تحكم بموضوعية وتحليل وبشكل واضح على مشاعرها. مع ذلك، فإحساسها بـ"أرنو دي مونبريان" الذي لم تقابله سوى مرة واحدة وفي ظروف غير عادية لم تكن سهلة التحديد، ولم تستطع "أورينا" أن تحدد رأيها فيه بشكل واضح. هذا الانقباض الذي شعرت به، وتلك الرعشة التي سرت في بدنها بعد محادثتها مع الرجل، ماذا يعني ذلك؟ قالت لنفسها: "هذا لغز آخر يحتاج لتوضيح، لكنني أخشى أن أبدأ في الفهم. كلمة أخاف ليست الكلمة المناسبة، أفضل كلمة أتوجس.." . ركبت "أورينا" دراجتها لتصل إلى مركز الاستحمام البحري الذي يقع في الطرف الآخر من المدينة في آخر شارع "شانر" الذي يحاذي الشاطئ ذا الرمال الناعمة. كانت الدقائق السعيدة التي قضتها "أورينا" في حمام سباحة المركز كافية لأن تعوضها عما كابدت من مشقة، وما بذلت من جهد. كان حمام البحر الدافئ الموجود في المركز منعشاً، بعده أخذت "أورينا" حمام شمس لبضع دقائق. قالت

لنفسها: "إنني فعلا أستمتع بالإجازة وأمارس كل ما يشعرني بالراحة: حمام سباحة، تعرض البشرة للشمس، وبطالة هانئة.. لا يجب أن أنسى مع كل ذلك أنني هنا للعمل"!

قضت المرأة الشابة وقتا ممتعا في المركز الصحي، واستمتعت بوقتها تماما، وتركت المركز بعد ساعة تقريبا وهي في كامل لياقتها. بحيوية، ركبت دراجتها واتجهت صوب الميناء.

- آنسة "بالكسيو".

اندهشت "أورينا" لسماع لقبها. في وسط الطريق، هدأت من سرعة دراجتها والتفت الرجل العجوز الذي يدير الفندق الذي تنزل فيه ويحرسه في آن واحد. كان الرجل يشير إليها بيده. شدت المرأة الشابة فرامل دراجتها واتجهت إلى الاتجاه المخالف.

- تليفون، إنها "باتريس"...

ظهر على الرجل عدم الصبر، لم تبد "أورينا" كثيراً من الحماس لتلقي المكالمة التليفونية. أضاف الرجل بصوت منخفض:

- إنها المرأة التي تحدثت معك بالأمس. تستطيعين أن تتكلمي من كبينة البهو:..

بدون أي استعجال، اتجهت "أورينا" إلى الكبينة الزجاجية الموجودة بالقرب من منضدة استقبال الفندق. "باتريس" يجب أن تكون قلقة بسبب الموضوع، يالها من رئيسة تحرير ناجحة.

- "أورينا" عزيزتي.. أخيرا...

ابتسمت "أورينا" من مدح صديقتها. كانت "باتريس" تحب أن يحدث كل شيء بسرعة: الأشخاص والأحداث تتفاعل بسرعة هائلة تسيطر عليها رئيسة التحرير بصعوبة.

قالت "أورينا":

– إنك محظوظة، ناداني الحارس وأنا أسير بالدراجة في الطريق.

– لقد طلبت منه أن يراقب الطريق، كنت متأكدة أنك سوف تمرين.. في الواقع لقد اتصلت بك أربع مرات سابقة.

قالت "أورينا" بأسلوب فكاهي:

– إنك تفكرين في المقال. وقعت أحداث كثيرة منذ الأمس.

قالت "باتريس" بنبرة مقتضبة رسمية:

– هيا، قصّي عليّ..

في كلمات قليلة، لخصت "أورينا" لصديقتها ما حدث في أمسيتها الطويلة مصورة لامبالاة الشرطة على الرغم من معرفتهم بالاحتفالات التي تجرى.

– تدعين أنهم على علم بهذه الاحتفالات والطقوس ولا يفعلون شيئًا؟ لا تبالغي. من المؤكد أنهم كانوا سيتدخلون إذا وصلنا في الوقت المناسب، لكنني أخشى أن بحثهم وتحريهم لا يتمان بالسرعة المرجوة...

– تخافين؟

قاطعتها "باتريس".

ترددت "أورينا" في الرد المناسب. يمكن أن يُفهم ضعف الشرطة على أنه خوف، لكن "أورينا" كانت تشعر بأن هناك شيئًا آخر وراء هذا التحفظ والحيطة. كان حدسها الفطري ينبهها إلى أن هناك شيئًا آخر غريبًا يحدث. رددت أخيرًا قائلة:

– خائفة، نعم ولا، فلنقل إن إحساسي وشعوري بالموضوع مازال غامضًا.

ساد الصمت للحظة بين الصديقتين. كل منهما كانت تفكر في الموضوع المثير الذي تابعته "أورينا". احتفالات سلتية في أواخر

القرن العشرين في إقليم "بريتاني" إن ذلك ليثير الفزع والهلع.

– حسنًا.. إنني أعتمد عليك في متابعة هذا الموضوع، أليس كذلك؟ لكنني في واقع الأمر أتصل بك لسبب آخر تمامًا: صور مقال "أيرلندا" وصلت. إذن سيكون ذلك هو موضوع هذا العدد، لكنني أعتمد عليك لنشر موضوعك في الأسبوع المقبل.

ضحكت "أورينا" طويلا من إيحاء صديقتها "باتريس". وقالت:

– نعم، سوف تحصلين عليه، مقال الطقوس السلتية، لا تطلبي غير ذلك.

انفجرت "باتريس" ضاحكة، هي أيضا، سعيدة بفهم تلميحها. تبادلت المرأتان الحديث لبضع دقائق أخرى. بعد غلق الخط، لاحظت "أورينا" أنها لم تحدث صديقتها عن "أرنو دي مونبريان"، كما لو كانت لا شعوريا تريد أن تحتفظ لنفسها بأمر ذلك الرجل.

"إنه لتصرف أحمق. سأتصل بها بعد قليل لتبحث لي عن المقالات الصحفية المتعلقة بموضوع اختفاء وموت "آريان دي مونبريان" في صحف العام الماضي.

نظرة سريعة في ساعة يديها، أدركت "أورينا" أن الوقت قد مر سريعًا، ولم يبق لديها الكثير لتبحث عن معلومات جديدة بخصوص البحار "آريان"، وكذلك الاحتفال الغريب الذي حضرته في الأمس بالمصادفة.

عند خروجها من الفندق ترددت بأي الموضوعين تبدأ رحلة بحثها وتحديها: هل من الأفضل أن تذهب إلى المخفر لتسأل رجل الشرطة عما هو جديد في تحرياتهم، أم من الأحسن أن تنزل إلى الميناء لتتحدث مع أي شخص يقع في طريقها بالمصادفة؟

مرة أخرى، لكن ذلك لم يكن غريبا عن المرأة التي اعتادت على تحكم تلك الحاسة فيها، فإن حدسها هداها لأن تبدأ بالميناء حيث يرسو "آريان". دقائق معدودة وكانت "أورينا" قد وصلت إلى ميناء "ماريا" وحانات الصيادين المنتشرة عبر طرقه. تركت دراجتها على حافة حائل الأمواج، ومشت بطول الرصيف البحري لا هدف لها. في المكان الذي يرسو فيه "آريان" كان هناك صياد يرفع شباكه، كان المركب الأحمر الدموي لابد قد أبحر عند الصباح الباكر. قالت لنفسها: "إن "أرنو دي مونبريان" لا يخلد كثيراً إلى النوم"...

دفعتها المصادفة أكثر من رغبتها الحرة إلى محادثة بائع التحف. دخلت "أورينا" المتجر الذي يقع أمام مرسى المركب "آريان". عند دفعها لباب المحل دقت موسيقى جرسية بصوت مسموع. ظلت "أورينا" ساكنة في وسط المحل في انتظار ظهور البائع العجوز، لكن لم يكن هناك أي دلائل على وجود أحد بمؤخرة المحل. بشكل مهذب وحتى تعلم من في المحل بقدومها عطست المرأة.

"لا أحد؟ إن ذلك لمثير أن يترك المحل هكذا مفتوحًا بدون وجود أحد. لا يجب أن يكون بعيداً، ربما كان في المقهى القريب من المحل". انتظرت المرأة قليلا، ثم قررت أن تلقي نظرة على المقهى الذي قابلت فيه الرجل لأول مرة. أحبطت المرأة عندما وجدت صالة المقهى خالية من الزبائن، ولا يوجد سوى النادل وراء المنضدة يقرأ جريدته.

– ألا تعرف أين يمكن أن أجد بائع التحف؟

بادرته "أورينا" بالسؤال.

– السلتي؟ ألا يوجد في محله؟ لا يجب أن يكون بعيداً. إنه لا يبعد مطلقا لفترة طويلة...

لم تلاحظ "أورينا" الكلمة الأولى لعامل المقهى، كانت مشغولة البال بالبحث عن بائع التحف حتى إنها لم تلاحظ اسم الشهرة المعروف به.

خرجت "أورينا" من المقهى، مشت عدة خطوات سارحة البال، وتنظر بعينين شاردتين للأفق. لكن هناك على مرأى من بصرها لا أثر لشراع "آريان" الأبيض وهيكله الأحمر.

– هل تبحثين عني؟

فزعت المرأة الشاردة البال من صوت بائع التحف واستدارت سريعًا.

كان الرجل ماثلا أمامها تملأ الابتسامة شدقيه، وتخفي النظارة نظرة عينيه القلقة.

– نعم.. لقد دخلت إلى محلك لكنك لم تكن موجوداً، فذهبت إلى المقهى القريب لعلك تكون هناك.

على الرغم من الابتسامة الهادئة والواثقة للبائع، إلا أن نبرة صوته القلقة ظهرت في كلامه، قال لها:

– كُنت في مؤخرة المحل، كنت أفحص سلعة عُرضت عليّ. لكن ماذا تريدين؟ لقد أصبحت عجوزا أصم، لم أعد أسمع صوت جرس باب المحل.. "عجوز أصم؟ مظهره لا يوحي بذلك. ربما يقول ذلك لكي أواسيه".

استطرد الرجل:

– هل يروق لك أن تلقي نظرة على البضاعة الجديدة التي وردت مؤخراً؟ ربما تجدين فيها ما يثير اهتمامك؟

قالت "أورينا" لنفسها: "ربما، لكن على الأخص يمكن أن يحدثني عن تلك الملل السلتية؟ رجل في مهنته يهتم

بالماضي" ...

– على الرحب والسعة.

خلال الأمتار القليلة التي كانت تفصل المقهى عن المحل، تحدث رفيق الصحفية عن الخطوات التي قام بها لتحديث بضاعته ومخزونه السلعي الذي أحيانا ما يبحث عنه بمفرده.

– لا تتصوري أن كثيراً من الناس يمكنهم أن يحتفظوا باشياء في دواليبهم أو خزائنهم ثم ما يلبثوا أن ينسوها. في أيام ترتيب المنزل يكتشفون ما لديهم من أشياء لا يرغبون فيها، في هذه اللحظة يجب أن أظهر، ربما يمكنني شراء أشياء مهمة.

كانت "أورينا" تستمع إلى حديث الرجل مبتسمة، بداخلها كانت تسخر من كلام الرجل وحكاياته، لكنها كانت تبحث عن طريق تستطيع أن تلج منه إلى ما يهمها من موضوعات: "آريان" والاحتفالات السلتية. تابع الرجل حديثه قائلا:

– غني عن الذكر، أنني أحيانا أضطر إلى شراء بعض الأشياء التي لا قيمة لها حتى أضمن الحصول على شيء ذي قيمة...

ردت "أورينا" بادب:

– آه.. نعم.

سالته فجاة:

– هل تمتلك أشياء من العصر السلتي؟ إن تاريخ هذه المنطقة غني بتلك الآثار، وأعتقد أن هناك الكثير الذي يثير الفضول.

لاحظت الصحفية الشابة الاضطراب السريع الذي ظهر على وجه الرجل نتيجة لسؤالها. لحظة،، خلع نظارته، وشعرت المراة بعينيه القلقتين الفزعتين تخترقانها. لكن سريعا، كل شيء عاد إلى طبيعته ورد قائلا:

– لا. فقط بعض المصنوعات الفخّاريّة هو كل ما وصل إلينا.

تنهدت "أورينا" قائلة:

– يا لها من خسارة!

لفت حول نفسها، وألقت نظرة سريعة على كل المحل عندما لاحظت فجاة. هناك على أحد الأرفف في مكان شبه مظلم..

بسرعة اتجهت لذلك الرف.

الفصل الرابع

أمسكت "أورينا" بهذا الشيء وتفحصته بدقة. اتجه البائع إلى نفس الاتجاه الذي جذب المراة، وكان واضحًا أن فضول المراة لا يروق له. زأر فيها بنبرة خالية من أي سلوك ودي قائلا:

– انتبهي، إن ذلك قابل للكسر.. اتركي ذلك أرجوك. إنني لا أعرف ماذا يفعل ذلك التمثال هنا، يجب أن يكون في مكان آمن.

لم تُعر "أورينا" أي اهتمام لكلمات الرجل، كانت تدير بين أصابعها بشكل مستمر التمثال الصغير البرنزي. كانت تعرف جيداً كل تفاصيله، لم يبق لديها أي شك في أن هذا التمثال الذي بين يديها نسخة طبق الأصل من التمثال الذي وجدته الشرطة ليلة أمس في ذلك البراح بالأدغال حيث كانت تمارس العبادة البربرية.

حاول التاجر أن ينزع التمثال من بين يديها لكن "أورينا" تظاهرت بعدم ملاحظتها لغضب الرجل. قالت لنفسها: "إنه غاضب. لا أعرف بالتحديد لماذا. إذا لم يكن يرغب في رؤية أحد لهذا التمثال، فكان يجب عليه أن يخفيه".. بود سالته:

– إنه "تور". أليس كذلك؟ إله...

قاطعها الرجل مكملاً:

– النور والصواعق، الابن العظيم للإله "أودن" لكن أعيدي لي هذا التمثال الصغير حالاً، لا تستطيعين أن تلمسيه.

اندهشت "أورينا" من قول الرجل وقالت:

– لا ألمسه! لكن لماذا ذلك؟ إذا كنت أتمنى أن أشتريه...

– إنه محجوز، هذا فضلا عن أنني يجب أن أغلق المحل في الحال.

أخذ الرجل التمثال الصغير من يد "أورينا" واتجه إلى مؤخرة المحل تاركاً المرأة الشابة بمفردها في المحل. قالت المرأة الشابة لنفسها: "ذلك شيء غير عادي. إن هذا الرجل مجنون، ذلك لا شك فيه. إن له تصرفات غريبة ليس لها مبرر... ذلك ليس مهماً. العجيب أن أكتشف هنا نسخة مماثلة لتمثال الإله "تور". يجب علي أن أتحدث إلى الشرطة لأن هذا البائع لم يخبرني كيف حصل على هذا التمثال البرنزي".. ثم ما لبثت المرأة أن ألقت نظرة سريعة وهي شاردة الفكر على الأرفف المليئة بالتراب، لكن لم يجذب اهتمامها شيء، بعض الأشياء جميلة المظهر خادعة للسائحين لكن لم يكن هناك شيء يمت بصلة من قريب أو بعيد للأساطير السلتية.

عندما غادرت المرأة المحل كان هناك صوت أقدام تتبعها. رأت المرأة بائع التحف يضع الأقفال على باب المحل. قالت لنفسها: "إنه يغلق... كم ذلك عجيب! بهذا الشكل لا يحقق مبيعات إذا كان سلوكه بالمثل مع كل زبائنه"..

خطفت أشعة الشمس الشديدة نظر "أورينا" قبل أن تتحقق أن ما تراه أمامها واقع وليس سراباً لرغبة شخصية مدفونة في

أعماقها. يبعد عنها بالكاد خمسة أمتار، المركب الأحمر الذي يحمل اسمها، يتمايل برفق مع أمواج البحر، وتهتز شراعه مع حركة الرياح. علت وجه المرأة ابتسامة عندما رأت الشراع الأمامية للقارب مرتخ. قالت لنفسها: "لكن أين "أرنو"؟ لقد عاد مبكراً، ذلك رائع".

جاءها الرد على سؤالها سريعاً.

– صباح الخير!

صاح "أرنو دي مونبريان":

– كان البحار الشاب جالساً في مؤخرة قاربه، ويلوح بيده لـ"أورينا". أضاءت ابتسامة ساحرة وجهه الجميل الجذاب. قال:

– تعالي.

بدون أن تنتظر أن يكرر الدعوة مرتين اتجهت المرأة مسرعة إلى القارب. وقف "أرنو" ومد يده ليساعد "أورينا" على ركوب المركب. كان المد عالياً حتى أصبح سطح المركب تقريبا موازيا لارتفاع رصيف المرسى.

– إنك هنا...

قالت "أورينا" هذه الكلمات بنبرة سعيدة، لكنها سريعاً أدركت ما يمكن أن تحمله هذا الكلمات من معان فاردفت قائلة:

– أريد أن أقول... ألم تبحر اليوم؟

كان "أرنو" مازال مبتسما وهو يتفحصها بتمعن. كما الحال بالأمس، هذه النظرات العميقة لم تزعج "أورينا" التي كانت راضية بها بل إنها أيضا بدون أن تظهر ذلك كانت تلاحظ "أرنو". كان عريض المنكبين، ذا ملامح دقيقة تعطي له جاذبية طاغية. عيناه لامعتان معبرتان...

– كانت لدي الرغبة في رؤيتك، وكنت متأكداً أن ذلك في استطاعتي إذا عدت إلى المرسى نهاراً.

هذه الجملة وتلك الرغبة هزت مشاعر "أورينا" حتى إنها لم تجد شيئًا ترد به.

ظلا هكذا صامتين وجهًا لوجه عدة لحظات. فكرت "أورينا": "لماذا يرغب في رؤيتي؟ هل فقط لمجرد التسلية والكلام؟ ربما وحدته تؤرقه؟ لكن لماذا أنا؟"

لم تعد "أورينا" تشك في مشاعرها نحو "أرنو دي مونبريان". أنا أحبه. غباء أن أقول ذلك. وقعت في غرام رجل لم أتعرف إليه سوى أمس، فقط لأنه يُبحر على متن مركب يحمل اسمي. إن ذلك لسلوك غير منطقي"! كانت عينا "أورينا" تحملقان إلى الفضاء، وشعرت برغبتها في الضحك والبكاء في آن واحد. كان غموض مشاعرها يخيفها. هل الفرنسي الذي تتمنى من كل قلبها نسيانه قد قتل بداخلها كل رغبة في الحب؟ إنها مترددة وهي على مشارف مغامرة لا تعلم عنها شيئا، فضلا عن عدم تأكدها من مشاعر الطرف الآخر، وهل يشاركها نفس الإعجاب أم لا؟

سألها "أرنو" قاطعًا صمتها الذي احترمه للحظات قائلا:

– ماذا حدث لك؟

هزت المرأة كتفيها قائلة:

– لا شيء، فقط أفكر...

لم يكن ردها موفقًا، فقد انتبه "أرنو" إلى كون هناك شيء تخفيه المرأة لكنه لم يصر. سألها وهو ينظر مباشرة إلى عينيها:

– أتودين أن نتناول الغداء سويًا؟

لكن "أورينا" كانت غارقة في أفكارها، رافضة أن تنصاع

لعاطفة تشعر بها وتكبر بداخلها.

"إنني لا أمثل شيئا بالنسبة له. مجهولة تشبه زوجته، لقد صرح لي بذلك أمس. لا شيء سوى تجسيد ذكرى سعيدة. إذن لماذا عاد؟ إنني أشعر بأنني سأفقد عقلي في هذه المتاهة من الأسئلة التي لا إجابة عنها"... فجأة قالت وقد عادت إلى الواقع:

– اعذرني.. ماذا قلت؟

أمسك الرجل ذراعها برفق، كانت ملامسة أصابعه لجسدها قد أصابتها بقشعريرة سرت في كل بدنها.

– إنني أعرض عليك أن نتناول الغداء معًا شريطة أن تكوني غير مرتبطة بأي شيء آخر.

وهذا ما تمنته... "أورينا".

التقط أنفاسه قبل أن ينطق باسمها. اضطربت المرأة بعنف مرة أخرى عندما سمعت اسمها يتلفظ به فم "أرنو دي مونبريان". كانت نبرة "أرنو" عندما نطق اسمها مليئة بالأحاسيس، هكذا على الأقل شُعرت "أورينا".

– بكل سرور...

مرة أخرى، وعت "أورينا" لتفاهة الكلمات التي تنطقها والتي لا توضح مشاعرها فيما عرضه الرجل أو قاله. برشاقة، قفز إلى الرصيف.

– أعطني يدك.

كل لحظات الخوف والاضطراب اختفت، وتركت المرأة ذاتها تحيا لذة اللحظة الآتية.

مدت يدها لـ"أرنو" الذي ساعدها على النزول إلى رصيف الميناء، أثناء ذلك بدلا من أن يترك يدها بعد أن ساعدها بأدب،

ظل ممسكاً بيد المرأة التي تركتها له بدون انزعاج. كانت ملاطفة "أرنو" على أصابعها هادئة، هادئة جداً.

– جمبري؟

– موافقة. هل تعرف مطعماً طيب السمعة يمكن أن نتناول فيه الجمبري؟

– إنني أعرف كل مطاعم المدينة. أستطيع أن أؤكد لك أنني تناولت على الأقل وجبة واحدة في كل مطعم منها!

كانت نبرة صوته فكاهية وسعيدة وهو ينطق بهذه الكلمات، لكن وميضاً من الحزن ظهر فجأة في عينيه اللامعتين. فكرت "أورينا" وقالت لنفسها: "إنه يفكر فيها. "آريان" هذه التي فقدها لكنه مازال يحبها". كان شعور "أورينا" أنه يحب امرأة أخرى لا يحتمل بالنسبة لها، حتى لو كانت هذه المرأة قد اختفت للأبد. قالت لنفسها: "إننا لا نستطيع أن نحارب الذكريات، إنما فقط يمكن أن ننساها إذا كانت تمثل لنا فترات صعبة في الحياة. هكذا الحال معي، سانسى الفرنسي وكل الآلام التي سببها لي. لكن "أرنو" هل يمكن أن ينسى "آريان" ويزيحها من فكره، وهي تمثل كل ذكريات أوقاته السعيدة"؟... على الأقدام، مشيا عدة مئات من الأمتار التي كانت تفصل الميناء عن المطعم الذي اختاره "أرنو" لتناول وجبة بحرية. يمر بينهما عابر في الطريق فيفترقان للحظات، ولا يكادان يلتقيان حتى يسرع "أرنو" ليمسك بيد المرأة التي تتركها له. جلسا في بهو المطعم خلف إحدى النوافذ الزجاجية التي كانت تحميهما من الريح فقط ولا تحجب المنظر الطبيعي الخلاب للبحر.. بعيداً في عرض البحر تختفي وراء الضباب جزيرتا "أويت" و"أويدك"

بمنظرهما الخلاب. تنفس "أرنو" بعمق قائلا:

– يجب أن تسامحيني على رحيلي المفاجئ أمس، بعض الذكريات لا تزال مؤلمة بالنسبة لي.

قالت:

– أفهم ذلك.

رد بدهشة:

– لكن كيف...؟

قالت "أورينا" موضحة:

– إنني صحفية. مهنتي تذكرني.

ظل شارداً لعدة دقائق حيث قدم فيها الجرسون مشروبا خفيفاً قبل الطعام، كان واضحا على الرجل التفكير. همس قائلا بعد لحظات:

– "أورينا بالكسيو". حقيقة سمعت كثيراً يتكلمون عنك، "البالكسيو" أحيانا يلقبونك هكذا. إحدى الصحفيات المخضرمات بـ"باريس".

قال بعد فترة صمت كما لو كان يريد أن يمحو ذكريات سيئة من عقله:

– ماذا فعلت بالأمس مساء بعد ما تركتني؟

لحظات قصيرة ترددت خلالها "أورينا" أن تبوح له بما حدث خلال الساعات القليلة الماضية على أرض "بريتاني" في منطقة الأدغال والغابات. قررت في النهاية مدفوعة برغبة المشاركة من الآخرين أن تحكي له عما حدث ليلة الأمس. من بداية قصتها تغير وجه "أرنو". ضم قبضة يده في حركة عنيفة. وتلعثم قائلا:

– الإنوانيون... هل رأيتهم؟ لكن أين بالتحديد؟ كيف كان...

كانت نبرة صوته مؤثرة بدرجة عالية مليئة بالحزن والألم بأسلوب فهمت منه "أورينا" أن هناك شيئًا غامضًا، وسرًا قاسيًا يقطع أوصال قلب "أرنو" ولا يستطيع تحمله. قالت المرأة في نفسها: "لماذا رد الفعل ذلك؟ هل لغز "آريان" و"الإنوانيون" بينهما علاقة؟ لا شك في ذلك بما أنه يعرف اسم هذه الطائفة". هدأت حدة توتر الرجل بعد لحظات، وتنهد قائلا بنبرة إلى حد ما عادية:

– أرجوك تكلمي. سوف أشرح لك فيما بعد سبب اهتمامي بهذه القصة.

بأسلوب راوية محترفة حكت "أورينا" قصتها بشكل موضوعي لا يخلو من ذكر انفعالاتها وخوفها على مصير تلك المرأة المرتدية ثوبًا أحمر ولا من عدم معقولية مراسم الاحتفال الجنونية لتلك الطائفة.

– تقولين إن رجال الشرطة اكتشفوا تمثالاً صغيرًا؟ ماذا يمثل؟

– "تور" ابن "أودين".

قال "أرنو" بشكل مفكر:

– "تور" أكثر الآلهة دموية في الأساطير... إنني أشك في شيء من ذلك القبيل. ذلك أمر فظيع.

احترمت "أورينا" صمته قبل أن تكمل روايتها، وما اكتشفته صباح هذ اليوم في محل بيع التحف. كانت دهشة "أرنو" بهذا الخبر أقل من سابقتها. قال لها:

متماثلان؟ هل أنت متأكدة؟

– لا أشك في ذلك إطلاقًا.

ضحك ثم ظل مبتسمًا كما لو كان يريد أن يهدئ من حدة التوتر التي عبقت المكان، ثم ما لبث أن قال:

– لا أعتقد أن الـ"جارن" أصبح هكذا مهملاً.. لكنه ربما فاجأته زيارتك.

اندهشت "أورينا" قائلة:

– الـ"جارن"؟

– "آرون لي جارن" الملقب بالسلتي. في رأيي أنه رئيس "الإنوانيون" لكن يجب الآن أن أقص عليك معرفتي بهذه الطائفة وإلى أي مدى أهتم بتحركاتهم.

قطع حديثهم وصول النادل ليعرف طلبات الزبائن. كانت "أورينا" تشتعل شوقًا لمعرفة الدوافع الكامنة وراء اهتمام "أرنو" بقصة "الإنوانيون". في الواقع بدأت تتوقع بعض تفاصيل القصة أو على الأقل تستنتج من التفاصيل التي تعرفها. قالت لنفسها: "هل "آريان دي مونبريان" – زوجته – كانت ضحية "الإنوانيون""؟ بدأ "أرنو" قصته قائلا:

– في العام الماضي جئت مع زوجتي للقيام بنزهة بحرية في خليج "موربيون". في الواقع كانت وجهتنا الأصلية هي جزيرة "ترينتيه" إحدى جزر دولة "الكومنولث" الواقعة في الجنوب...

أكدت الصحفية قوله:

– نعم أعرفها.

– لكننا وجدنا المكان مزدحمًا للغاية.. في الواقع كنا حديثي الزواج ونأمل في شيء من الخصوصية...

هذه الكلمات الصادقة صدمت مشاعر تلك المرأة لدرجة لم تتوقعها. شعرت "أورينا" بالحنين له والحزن عليه، لتلك المرأة التي فقدها وكان يحبها، لكن مشاعرها لم تخل من غيرة على الرجل الذي تحبه، ومن ذلك الماضي الغريب عنها والغريبة عنه،

قالت لنفسها: "إنه يتحدث عنها بصيغة الماضي، لكن يبدو كما لو كانت لا تزال تعيش في وجدانه. لكنني على الرغم من ذلك لن أحقد على هذه المرأة. إنها عرفت "أرنو" قبلي"!

– إذن وصلنا إلى "كيبيرون" فارين من هذا المكان المزدحم.

كان وجه "أرنو" مليئًا بالألم والحزن وهو يسرد هذه اللحظات السعيدة، وربما أسعد لحظات في حياته. بالنسبة لـ"أورينا" كانت مضطربة المشاعر، منقسمة بين احترامها لماضي الرجل، والشعور القوي بالهم، لما صادفها من قبل. قالت لنفسها: "يجب أن أستعيد توازني. لا شيء، لاسيما هو، يدل على اهتمامه بي أو شعوره بأي شيء نحوي. بأي حق أريده لذاتي"؟

– استطعنا إيجار مكان في المرسى للمركب، نفس المكان الذي يشغله الآن. وكنا نقسم وقتنا بين النزهات البحرية والفسح...

انجذب تمامًا لذكرياته أحيانًا عند ذكر بعض الأوقات السعيدة التي عاشها وكان يبتسم كالطفل. رغمًا عنها لم تستطع "أورينا" أن تمنع نفسها من التأمل في ملامح الرجل أثناء حديثه، التجاعيد الصغيرة التي على طرفي عينيه كانت تزيده وسامة: وصمة معاناة حقيقية والدليل على مأساة قلبت حياته رأسًا على عقب.

قالت "أورينا" التي كانت تشعر بأنه يجب أن تشجع "أرنو" على الكلام:

– أفهم ذلك.

ابتسم الرجل لها شكرًا على لطفها وأدبها. كانت تريد أن تصرح له بأن ذلك ليس مجرد لطف لكنه بسبب انجذابها نحوه.

– كنا نخرج كثيرًا، كل الليالي تقريبا. نزهات عشاق على

انفراد وجهًا لوجه، كنا نضحك خلالها كثيرًا ولأي سبب.

"يا ليته يتوقف! ذكريات سعادته هذه تعذبني. كان يحبها، ومازال يحبها.

أعتقد أنه مكروب، ماذا إذن سوف أفعل، سوى العذاب؟ يجب أن أبدأ في التخلص منه قبل أن يفوت الأوان، وقبل أن يصبح ذلك مستحيلا"... مع ذلك وعلى الرغم من حديث "أورينا" الذاتي إلا أنها قالت له بنبرة رجاء:

– أكمل...

كان واضحا أن "أرنو" غير واع للألم الذي يسببه حديثه للمرأة. استطرد قائلا:

– في يوم ما، دخلنا إلى متجر التحف الذي يملكه "آرون لي جارن". من هنا بدأ كل شيء، بدأت آلامنا المشتركة..

تحولت المعاناة الواضحة على وجه البحار الشاب إلى جزم صلب أضاء نظرته بوميض قلق.

– أقسم لك إنني سأعرف كل الحقيقة، سأعرفها لا محالة. عندئذ فقط أستطيع أن أحيا من جديد.

همست له "أورينا" قائلة:

– "أرنو"، ربما من الواجب أن أبوح لك بشيء...

نظر إليها بحدة. في نفس الوقت هز رأسه كما لو كان يشجع المرأة على المضي في طريق الاعتراف الذي بدأته. كان رأس "أورينا" منشغلا بأفكار كثيرة "لم أعد أحتمل، يجب أن أبوح له. لكن ذلك لا يليق أن تعترف بحبها لرجل ما لبثت أن عرفته بالأمس. إن العادات والتقاليد لا تفيد كثيرًا. "أرنو" وأنا بالغان، وكل منا قد مر بتجربة قاسية مؤلمة: هو موت زوجته التي كان

يحبها وأنا الخيانة..."

في الضوء القوي لفترة ما بعد الظهيرة، رُسمت ملامح وجه الفرنسي أمام عيني "أورينا". كانت المقارنة بملامح "أرنو دي مونبريان" لصالحه. أضاءت الابتسامة وجه "أورينا" لأول مرة في تلك الوجبة. قالت لنفسها: "ربما أنا في طريقي لأشفى من الفرنسي؟ لكن ذلك من أجل الوقوع في ألم آخر، في تجربة قاسية مع "أرنو". ذلك بمثابة تعويض لا قيمة له"...

قال لها "أرنو" بهدوء:

– إنك تراقبينني بشكل غريب يا "أورينا"، ماذا بك؟

– خائفة منك، أعتقد...

تلفظت المرأة بهذه الكلمات بشكل عفوي بدون أن تفكر في الطريقة التي يمكن أن يفهمها بها "أرنو"، كذلك شعرت بأن هذا الاعتراف يمكن أن يثير لبسًا في الفهم. ما الذي سيفهمه رفيقها؟ أتشعر بعدم الأمان في وجوده أم توجسها من المستقبل وهي تستشعر عواطفها القوية نحوه والتي تدفعها إليه بدون أي تردد؟. تلعثمت قائلة في محاولة لتوضيح معنى ما قالته:

– أخيرًا، أريد..

قاطعها بحركة هادئة من يده التي اتجهت لذراعها تربت عليه:

– لا تضيفي شيئًا، أعتقد أنك أوضحت ما تريدين قوله، وأنا فهمت قصدك. تعرفين، الوقت يمحو كل شيء حتى أكثر الجروح إيلامًا. بالنسبة لي مقابلتك هنا لشيء رائع في هذه المدينة بالذات حيث عرفت أكثر لحظات السعادة ثم ضياع الأمل...

"الوقت يمحو كل شيء؟ ماذا يريد أن يقول؟ هل ذلك أمل؟"

هكذا وجدت المرأة نفسها على أولى عتبات الحب حيث أقل

كلمة وكل لحظة صمت تفسر بالمعنى المرغوب. هذه الحساسية المرهفة تدل في نفس الوقت على ضعف وقوة المحب. ضعف لأن الاعتراف بالحب يمثل خطورة، وقوة في نفس الوقت لأن كل شيء يصبح مصدر سعادة: انتباه رائع، نظرة...

– هل تعتقد حقيقة أن الأيام والليالي تساعد على شفاء الجروح؟ يوجد أناس لا ينسون مطلقا، ويظلون يتألمون طوال حياتهم...

– إذا كنت سألتني هذا السؤال منذ ثمان وأربعين ساعة فقط لكنت أجبتك بأنني أنتمي إلى هذا النوع من الناس الذين لا تلتئم جروحهم. لكنني عندي شعور قوي بأن كل شيء تغير... بفضلك أنت.

شعرت "أورينا" بقلبها يدق بعنف، ويعلو صوت ضرباته. أمام عينيها كانت سحابة سوداء تمر فحجبت رؤية المنازل المطلة على البحر، خيم الهدوء على المكان ووجدت "أورينا" نفسها تتنفس بصعوبة. فجأة قام "أرنو دي مونبريان" من مكانه. كاد أن يدفع في طريقه الجرسون الذي كان يحمل الجمبري، واندفع نحو النافذة الزجاجية التي تطل على الخليج الصغير.

– السلتي. إنه بأسفل، أعتقد أنه يراقبنا...

الفصل الخامس

تبعت "أورينا" بدورها مرافقها إلى الشباك الزجاجي الذي يطل على الخليج الصغير للمدينة وألقت نظرة نحو الرصيف. كان بائع التحف – بالفعل – موجودًا أسفل المطعم الذي كان

يوجد في الدور الثالث من المبنى، كان الرجل مستنداً إلى درابزين الرصيف القريب من الشاطئ. نظره كان مركزاً نحو نقطة معينة، ربما وجهة المطعم الذي كان يتناول فيه الشابان وجبتهما. من طول النظرة المنذهلة للجرسون، عادت "أورينا" و"أرنو" إلى منضدتهما لكي يكملا بهدوء وجبتهما. فكر "مونبريان" قائلا:

– إذا كان "لي جارن" يراقبنا بهذا الشكل، فإن ذلك يؤكد افتراضي.

– لكن كيف عرفت أنه هنا؟

انزعج الرجل من السؤال وحاول الإجابة بشكل ساخر قائلا:

– لا أعرف... إحساس.

استراحت "أورينا" لهذا الرد، وغيرت موضوع الحديث في الحال إلى ما يهمها قائلة:

– هل تريد متابعة حديثك؟ كنا نتكلم عن شيء آخر...

لم يفهم "أرنو" التلميح الوقور بكلمة "شيء آخر" واستجاب لرجاء مضيفته قائلا:

– تقابلنا إذن مع "آرون لي جارن" هذا الرجل الساحر، وكانت زوجتي "آريان" تهتم كثيراً بالأساطير السلتية الذي كان يعرفها كاملة. هكذا بدأ كل شيء.

مرة أخرى حرك مشاعر "أورينا" علامات الألم والحزن التي ترتسم على وجهه عند ذكر زوجته.

– كل شيء بدأ، لكن إذا كنت أستطيع معرفة هذه النهاية، أقسم لك إنني ما كنت أسمح مطلقاً لـ"آريان" أن ترى هذا... الوحش...

كان "أرنو"، يكاد يصرخ، وجهه شاحب ويداه الموضوعتان على مفرش المنضدة ترتعشان بشكل واضح. قالت له "أورينا":

– "أرنو" أرجوك أن تهدأ. سنعرف لغز هذا الأمر، لكن للحين اهدأ.

بدورها لامست يد "أرنو" بحنان. قال لها:

– اعذريني، لكن منذ وقت طويل...

قالت المرأة لنفسها: "منذ وقت طويل، ماذا يعني؟ ذلك غير مألوف كما لو كان بيننا أحداث متشابهة لها نفس الأهمية. إنني أنتفض من اتصالي به، هو يرتعش عندما ألمسه..."

فجأة، نظر "أرنو" إلى ساعته بشكل متكبر، كان أسلوبه غريباً على المرأة بشكل لا تتوقعه من رجل يعرف جيداً قواعد الذوق.

– سأنهي قصتي الآن. قابلت كثيراً "آرون لوجارن"، حضرت بعض حفلات تلك الطائفة، على أنني غير متأكد من هذه المعلومة وافترضها، ثم اختفت "آريان"... وجدوها مقتولة هنا في "كيبيرون"... وربما بأيديهم.. بأيدي "الإنوانيون"!

كان صوت "أرنو" منكسراً حزيناً. انكفأ بجبهته على الطبق الذي أمامه وانسالت دمعتان على خديه. كان منظر الرجل الباكي بدون خوف من إظهار ضعفه مثيراً لغيظ "أورينا" مرة أخرى. كانت تريد مواساته، تبحث عن الكلمات المناسبة، لكنها لم تجرؤ، منعها خوفها وعدم يقينها...

– أريد رؤيتك هذا المساء يا "أورينا".

هزت رأسها موافقة، كانت أيضا تتمنى من كل قلبها وأكثر من أي شيء آخر أن تراه.

– سأمر على فندقك نحو الثامنة. في الوقت الحالي، يجب

عليَّ الرحيل.

نهض الرجل، أبعد كرسيه واتجه إلى طريقه بدون أي تكلف. "أورينا" التي كانت تنتظر أي شيء سوى هذا الرحيل المفاجئ، لم تحرك ساكنًا، وظلت جالسة تنظر إلى شبح "أرنو" وهو يبتعد. في طريقه إلى باب الخروج، أعطى الجرسون بعض الأوراق المالية في يده قبل أن يختفي على السلالم التي تؤدي إلى باب الخروج. فكرت "أورينا": "يا له من موقف عجيب! ألا يمكنه تحمل أن يظل معي طويلا؟ مساء أمس، عاد فجأة إلى مركبه، لم أعد أفهم شيئًا. من لحظة لأخرى يتغير، أحيانا مرتاح ويشعر بالأمان، وبعدها لا يلبث أن يتضايق لدرجة أن يفر بدون عذر أو شيء ظاهري"... أكملت الصحفية غداءها بمفردها، لكنها لم تستطع أن تستمتع بطعم الجمبري الرائع المذاق، ولا بالمنظر الخلاب للبحر والجزر في الأفق. بعد لحظات، قامت بدورها. لم يعد هناك شيء يجذبها لهذا المكان الذي عرفت فيه منذ لحظات كمًا من المشاعر المتناقضة من السعادة الكاملة إلى الانحراف المزاجي.

مشت "أورينا" في الطريق المحاذي للبحر في اتجاه الفندق. عند وصولها تقريبا لآخر الشاطئ، ألقت نظرة نحو البحر: "الآريان" في عرض البحر تدفعه الرياح و"أرنو" واقف على المركب ممسكًا عجلة القيادة. قالت لنفسها: "ماذا يريد؟ من يكون حقيقة"؟. أمام الفندق كان الحارس واقفًا مبتسمًا. قال لـ"أورينا":

– عمت صباحاً يا آنسة "بالكسيو". هل قمت بمشترياتك هذا الصباح من عند بائع التحف؟

أعاد السؤال المهذب لرجل الفندق "أورينا" إلى مشكلتها الحقيقية التي تحاول فك رموزها. "بائع التحف... هل حقيقة كان

يراقبهما؟ وإذا كان "أرنو" يشك في كونه زعيم طائفة "الإنوانيون" فلماذا لا يتجه إلى الشرطة؟ كل تلك الأمور تبدو غريبة"...

دخلت "أورينا" حجرتها وطلبت من استقبال الفندق الاتصال برقم الصحيفة التي تعمل بها.

كانت قد قررت أن تتبادل الحديث مع موظف الفندق بعد إجراء مكالمتها مع صديقتها "باتريس".

قالت لنفسها: "إن هذا الرجل بهيئته هذه لابد أن يكون عالمًا بكل شيء في هذه المدينة الصغيرة، ويعرف الكثير عن كل الناس.. ثم بعد، رجال الشرطة، ربما لديهم الجديد".

لحظات فيما بعد، رد عليها صوت "باتريس"، فاجأتها "أورينا" قائلة:

– إنني في احتياج إليك وسريعًا!

كانت "باتريس" تملك القدرة على الإيجاز والاقتضاب في الحديث بنفس قدرتها على مواصلة الحديث. بنبرة صوت صديقتها، فهمت في الحال أن الحديث مفيد واستعدت بقلم في يديها لتدون ما هو مهم:

– إنني أسمعك.

– أريد معرفة كل شيء عن حادثة "مونبريان". إجمالاً فإن "آريان دي مونبريان" قد وجدت مقتولة في إحدى مناطق إقليم "كيبيرون". احضري لي كل ما كُتب عن هذا الموضوع، كذلك كل ما قيل وما لم يقل، كل ما تستطيعين تجميعه عن الزوجين "آريان" و"أرنو دي مونبريان".

على الرغم من الشكل الرسمي للمحادثة، فإن "باتريس" لمحت قائلة بشكل لا يخفى:

– أخبريني، "أورينا" إذا كنت أتذكر جيداً، فإن "أرنو دي مونبريان" بحار ماهر.

في الحال فهمت "أورينا" مقصد صديقتها، وعرفت إلى أين تريد الوصول. إن "باتريس" بذاكرتها الصحفية القوية قد استطاعت مثلها تماما بعد محادثتها بالأمس أن تتذكر جزءاً من قصة "أرنو"، وتستخلص منها بعض النتائج. قالت "أورينا":

– أعتقد.

– إنه بحار ماهر، وأعتقد أنه ربما يكون مالكًا لمركب ذي هيكل أحمر؟

هذه المرة ضحكت "أورينا" صراحة. كان بعد نظر "باتريس" لا جدال فيه. ونباهة حدسها المشهورة بها لا يختلف عليها أحد. قالت "أورينا":

– بالضبط، مركب ذو هيكل أحمر: "آريان". وقد تناولنا الغداء معا اليوم، وسنتناول العشاء معًا هذا المساء، إذا أردت أن تعرفي كل شيء...

– إليك عني، ذلك لا يهمني مطلقًا. ساقوم بإعداد ما طلبته مني وسارسله عبر التلكس إلى فندق "سوفيتيل كيبيرون". معلوماتك ستكون جاهزة خلال ساعة...

*****

– صباح الخير...

ابتسمت "أورينا" إلى رجل الشرطة الجالس وراء المكتب. كانت "أورينا" تعرف الرجل، كان واحداً من أولئك الذين حضروا أحداث ما جرى ليلة أمس على الأرض البائرة ناحية

الغابات. قام الرجل وحيا المرأة ثم قال:

– إن القائد يريد رؤيتك يا سيدتي، لو تسمحين بلحظة لكي أخبره.

رفع سماعة الهاتف، وتلفظ ببعض الكلمات ثم سريعًا ظهر قائد الشرطة بالمخفر. مد يده واتجه نحو الصحفية الشابة قائلا:

– هل نمت جيداً بعد أحداث ليلة أمس؟

– نعم، أشكرك...

دعاها لمكتبه، ثم أشار لها بالجلوس على أحد الكراسي، فقدم لها فنجانًا من القهوة. أخذت "أورينا" فنجان القهوة من يد الشرطي ثم سألته:

– هل لديك الجديد؟ هل فتش رجالك مكان الاحتفال لعلهم يجدون بعض الدلائل الجديدة؟

انقلب لطف الرجل فجاة، ونظر إلى المرأة الشابة نظرات ثاقبة قائلا:

– هل تشككين في قدرات الشرطة؟

فكرت "أورينا" في نفسها قائلة: "في قدرات رجال الشرطة فليس هناك مجال للشك، أما عن ذاته فلي الحق في الشك"... على الرغم من ذلك اجتهدت لتقلل توتر الجو الرسمي العسكري الذي خيم على الجلسة. ابتسمت ابتسامة مصطنعة ثم قالت:

– على الإطلاق، إنني واثقة بانكم تبذلون قصارى جهدكم، وذلك من أجل عدم إعطاء انطباع سيئ يمكن أن يعود على الإقليم وعلى سمعتكم أيضا من وراء مثل هذه الأحداث.

كانت نبرة المرأة تحمل تهديداً بسيطًا لإرادته، ولم ينتبه إليه رجل الشرطة. من جانبه فإنه كان قد عرف بعض المعلومات عن "أورينا"،

عرف أن "البالكسيو" واحدة من أمهر الصحفيات الباريسيات وأكثرهن شهرة، شخصية يجب مراعاتها... قال الرجل:

– رجال الشرطة يفعلون المستحيل يا سيدتي، لسوء الحظ، لم يكتشفوا أي شيء جديد يمكن أن نتقدم به في بحثنا. إنني لا أفقد الأمل سريعاً في التوصل إلى نتيجة. انتقلت فجأة "أورينا" لموضوع آخر بدون سابق إنذار قائلة:

– هل تعرف "آرون لي جارن"؟

– بائع التحف؟ إنه رجل ماهر. عجوز من سكان "كيبيرون"... لكن لماذا تسألين هذا السؤال؟ ما العلاقة بين ذلك وموضوع لغزنا؟

كان السؤال في غير محله، كما لو كان قائد الشرطة بسذاجته يحاول أن يحصل من "أورينا" على بعض المعلومات التي تعرفها. قالت:

– لا شيء، ببساطة، لقد اشتريت منه بعض الأدوات الجميلة.

لم ترد "أورينا" أن تبلغ الشرطي بما اكتشفته صباح اليوم في محل بيع التحف والهدايا، ذلك التمثال الذي يجسد الإله "تور" والمتماثل تماماً مع ما وجده رجال الشرطة في مكان الاحتفال ليلة أمس. في واقع الأمر، كانت المرأة لا تثق برجل الشرطة، استطردت قائلة:

– في الواقع قابلت "أرنو دي مونبريان". هل تعرفه؟

عادت الابتسامة إلى وجه قائد البوليس المكفهر كمن شعر بأن الحديث سيتطرق إلى موضوع أقل حدة وتوتراً، ثم قال:

– إنه المالك الشهير للمركب "آريان" أليس كذلك؟ المركب الأحمر...

– نعم. سمعته يذكر أنه فقد زوجته العام الماضي في ظروف غامضة..

– آه! ربما...

انتقل رجل الشرطة سريعاً بوجهه إلى أحد الملفات الموجودة على مكتبه، وظل يتفحص أوراقه، ففهمت "أورينا" أن المقابلة انتهت. لم تتوصل إلى شيء جديد، بل ربما زادت عدم ثقتها برجل الشرطة هذا الذي لا يروق لها. قالت:

– أعتمد عليك في إخباري بما هو جديد، في هذا الموضوع، أليس كذلك؟

– بكل تأكيد..

تصافحا ثم حيا الرجل المرأة التحية العسكرية قبل أن يوصلها إلى باب المخفر. "الخطوة الثالثة قبل أن أبدأ في الاطلاع على أوراقي في "السوفيتيل"، هي حارس الفندق، ذلك إذا كان موجوداً الآن"... كانت المرأة الشابة غير متأكدة من وجود الرجل الذي اعتادت رؤيته كثيراً في الفندق أو في شوارع "كيبيرون". لحسن الحظ، وجدت العجوز الماكر جالساً خلف منضدة الاستقبال بالفندق، من البداية، كانت "أورينا" قد لاحظت أنه يعرف كل شيء عن الجميع، وأنه من الصعب أن يحدث شيء في المدينة إلا ويكون على علم به مباشرة.

– لقد كنت في قسم البوليس يا آنسة "بالكسيو".

كان كلامه تأكيداً أكثر منه استفهاماً. لم تستطع "أورينا" سوى أن تهز رأسها موضحة:

– كنت في حاجة إلى بعض المعلومات...

ابتسم الحارس. هيئته الماكرة، ونظرة عينيه الواثقة فاجأت

المرأة. قال:

– أعرف، وأعرف أيضا أنك لم تحصلي عليها.

قاطعته "أورينا" قائلة:

– لكن كيف...

بهدوء رفع الرجل العجوز أصبعه على فمه في إشارة إلى المرأة لتصمت قبل أن يتابع حديثه قائلا:

– إنك لم تحصلي على هذه المعلومات، ولن تحصلي عليها بهذا الطريق.

صمت وتأمل وجه المرأة المندهش. من جانبها، فإن "أورينا" كانت تسأل نفسها عن الأسباب التي تدعو هذا الحارس العجوز لأن يثق بها. قالت:

– لماذا تقول لي كل ذلك؟

كانت تقول لنفسها: "يبدو عليه أنه يعرف الكثير، لكن كيف تأتى له أن يعرف بهذه السرعة؟ لقد تركت مخفر الشرطة منذ وقت قليل جداً... على الأقل"...

افتراض جديد قفز فجأة إلى ذهنها، كان افتراضاً غريباً وغير معقول، لكنه كان يستحق التفكير فيه لكونه يطابق الكثير من الأحداث المفاجئة التي حدثت في الساعات القليلة الماضية. لم تتح لـ"أورينا" الفرصة المناسبة ولا الوقت لتعمق فكرتها وتمحصها تفكيراً. بادرها البحار العجوز مجاوباً على استفساراتها قائلا:

– إنني أحبك يا آنسة "بالكسيو"، ليس لأنك نزيلة في فندق، ولكنك لطيفة. إذا كان عندي أطفال، كنت أحب أن أرى ابنتي مثلك. للأسف...

انتاب القلق المرأة الشابة، وقالت في نفسها: "إنه لن يحكي لي قصة حياته".

– إنني بالفعل أحبك، ولا أريد أن يحدث لك مكروه. إن الناس الذين تهاجمينهم أقوياء ولهم سطوة في المنطقة ومنظمون جيداً. يجب عليك أن تتشككي في كل الناس. أكرر ذلك: في كل الناس، حتى الغرباء عن المنطقة!

اندهشت المرأة: "معروف عن هذا الرجل أنه يعرف كل شيء. ما أسمعه يدل على أن كل المدينة على علم بما حدث لي في ليلة أمس، غير أنني لم أتكلم مع أحد سوى "أرنو دي مونبريان".

أضاف الرجل الذي كان يدير الفندق أيضا، ويقوم بحراسته:

– كوني حذرة..

ألقى الرجل تحذيره بدون اهتمام كمن يقدم فنجاناً من الشاي. شعرت "أورينا" بالاضطراب والخوف، اتجهت بنظرها نحو النافذة الزجاجية لمطعم الفندق الموجود بالبهو، كان منظر الشاطئ في الخارج رائعاً، والشمس ساطعة، وبعض الأطفال يلعبون بالكرة. سرت رعشة قوية في بدن "أورينا"، وشعرت برجفة دون أن تفهم ما يحدث لها. أهي نظرة الحارس الساخرة، أم تهديده، أم ببساطة إرهاق ليلة الأمس قد حل بها من جديد؟

قالت لنفسها: "أعتقد أنني يجب أن أخلد إلى الراحة بضع دقائق قبل أن أذهب إلى "السوفيتيل" أبحث عن التلكس القادم من "باريس".

تمددت "أورينا" على سريرها بعد أن أغلقت نوافذ حجرتها، وشددت عليها الستائر الداكنة حتى لا يزعجها الضوء. في شبه الظلام فإن ظلال الأثاث كان شكله مخيفاً وغامضاً.

أغلقت المرأة عينيها، لكن الخوف مازال يسري في بدنها: صور سريعة وعديدة تتراءى أمام عينيها. في براح الأرض البائرة بالأدغال بين الأشجار العالية يقام حفل شبيه لحفل الأمس. لكن في الوسط، امرأة جاثية على ركبتيها فوق المنضدة الحجرية وفوق رقبتها ساطور، لم تكن تلك المرأة المرتدية فستانا أحمر بالأمس، لكنها هي، "أورينا"، ترتعش وتضطرب خوفًا على حياتها. فجأة، رفع منظم الحفل القناع الأبيض من على وجهه وتجمد قلب "أورينا" في صدرها: ترى جلادها. إنه "آرون لي جارن" بائع التحف.

كانت نظرته ثاقبة وعيناه حمراوين. أما وجهه فكانت تتبدل ملامحه شيئًا فشيئا لملامح الفرنسي أحيانا، وأحيانا أخرى لملامح "أرنو دي مونبريان".

في حركة دفاعية أشاحت بيدها اليسرى تلك الوجوه، فزعت المرأة من جراء تلك المناظر المتكررة، وظلت ساكنة للحظات في سريرها تحت تأثير صدمة الصور التي رأتها في منامها. بذلت المرأة مجهودًا كبيرًا حتى تقوم من سريرها، كان رأسها يؤلمها بشدة ولم تجد في نفسها الطاقة اللازمة لكي تقوم. قالت لنفسها: "يجب أن أبذل مجهودًا. يجب أن أذهب إلى "السوفينتيل"، لابد أن المعلومات التي سوف ترسلها "باتريس" قد وصلت".

تنفست "أورينا" بعمق، ثم ما لبثت أن شعرت بغثيان شديد مرة أخرى أغلقت عينيها من جديد، وسرعان ما نامت. نفس الأحلام والمناظر المزعجة تراءت أمام عينيها: القربان البشري، النصل الذي يقطر دما، امرأة مربوطة وسط نصبين صخريين تستغيث بدون أمل، وهي تستدعي رجلاً يمر، عرفت أنه "أرنو دي مونبريان".

لكن من كانت هذه المرأة؟ ولماذا لم يهرول "أرنو" لمساعدتها؟

المركب الأحمر كان يمر في بحر مضطرب، في مقدمة المركب "آريان دي مونبريان" قائمة، لا تعطي انتباهًا لنداءات زوجها الواقف على الشاطئ.

"آريان"، "أرنو"، "أورينا"... الأسماء الثلاثة تتداخل في غناء أسطوري رتيب يشيد بعودة ظهور القمر مرة ثانية على أرض "بريتاني"...

الفصل السادس

دق جرس التليفون في الحجرة المظلمة. بصعوبة فتحت "أورينا" عينيها، وحاولت أن تعرف أين توجد. بينما كان جرس التليفون يدوي صوته في أذنيها، استطاعت أخيرًا أن تستجمع قواها وتمد يدها إلى المنضدة التي عليها التليفون. رفعت السماعة ثم قالت:

– نعم... كان صوتها سلسًا مغمومًا ولا يكاد يسمع.

انتبهت لصوت محدثها، وحاولت أن تستجمع قواها، قالت:

– ألو، نعم!

– "أورينا"، أخيرًا! ماذا تفعلين؟ هل أنت مريضة؟ يجب أن نتناول العشاء معًا؟ هل تتذكرين؟

"أرنو دي مونبريان"... لكن كم الساعة.. يبدو أنني نمت"...

بدون أن ترد، مالت "أورينا" على جانبها لتنظر إلى المنبه الموجود عن يمين السرير. كانت الساعة تشير إلى ما بعد التاسعة. قالت:

– "أرنو".. لا. لم أنس، لكنني لدي شعور كما لو كنت مخدرة. بعد عودتي من قسم البوليس شعرت بعدم الأمان، قررت النوم لدقائق، وهأنا ذي أستيقظ الآن فقط...

على الطرف الآخر وبعد لحظة صمت استطاع خلالها "أرنو" أن يُجمع ما قيل له، رد قائلا:

– سوف آتي!

"سوف آتي!... إنه لن يصعد بطبيعة الحال إلى الحجرة.. يجب أن أنهض لأستعد".

حاولت "أورينا" أن تستعيد نشاطها في السرير، لكن خانتها قواها. كانت تستعد لإعادة التجربة مرة أخرى عندما فُتح الباب بعنف بعد دفعة شديدة. دخل "أرنو دي مونبريان" إلى الحجرة. كان الرجل مرتديا بدلة سهرة سوداء. كان في كامل أناقته. كان مصففًا شعره الجميل الذهبي الذي بدا عليه كالتاج فوق هذا الوجه الجميل البرنزي بتأثير الشمس.

على الرغم من هذا المظهر المتمدن فإنه كان يبدو عليه القوة والتصميم. التناقض بين مظهر الرجل الأرستقراطي ودخوله المفاجئ إلى حجرتها دافعًا الباب بقسوة أثار ضحك المرأة.

فقد كان مشهدًا كوميديًا، وقف "أرنو" على بعد مترين من السرير مذهولاً. قال:

– لماذا تضحكين؟

حاولت التحدث بجدية، قالت:

– لا أعرف. إن، مظهرك ودخولك المفاجئ...

غير في الحال موضوع الكلام وقال:

– أخدّرت؟ قولي لي، لكن لماذا؟ لا يوجد اي سبب...

– لا أعتقد أن هؤلاء الناس، أيا كانوا، يتحركون بدون تفكير. سوف نتحدث في ذلك الأمر إذا أردت ذلك. الآن، أريد أن أستعد...

اندفع إليها مادًا يد المساعدة التي رفضتها. قال:

– دعيني أساعدك.

– لا.. أشكرك، انتظرني في بهو الفندق، ساكون جاهزة خلال لحظات...

ترك "أرنو" الحجرة مخفض الرأس من الحياء بينما كانت المرأة الشابة تحاول استجماع قواها. كانت تستند على مرفقها حتى استطاعت أن تنهض وتصل إلى الحمام. بعد ثلث الساعة لحقت "أورينا" بـ"أرنو" في بهو الفندق. كان جالسًا على أحد الكراسي، يتصفح إحدى المجلات تحت نظر ومراقبة عجوز الفندق. ما إن ظهرت "أورينا" على سلم الفندق قبل أن يلاحظها "أرنو"، حتى ألقى موظف الاستقبال التحية عليها، وكانت تبدو السخرية واضحة في نبرة صوته وكلامه، قال:

– عمت مساء يا آنسة "بالكسيو"، هل نمت جيدًا؟

تظاهرت المرأة بأن كل شيء على ما يرام، وردتْ بلطف قائلة:

– جيد جدًا، أشكرك. لقد كنت حقًا متعبة.

– هواء البحر، لا شك في ذلك، فضلاً على أنك أويت إلى الفراش في ساعة متأخرة مساء أمس.

الإشارة الأخيرة في كلام الرجل كانت واضحة حتى إنه أصبح من المستحيل تفسيرها بشكل آخر على الرغم من أسلوب كلامه العفوي الذي تبدو فيه السذاجة المفرطة.

سألت "أورينا" نفسها: "ماذا يريد أن يقول بالتحديد؟

وكيف أصبح علي دراية بكل هذه الأحداث؟ على ما أتذكر جيداً فإنه كان نائماً بالأمس عندما عدت إلى الفندق.

إذن، كيف استطاع أن يعرف ساعة رجوعي بالتحديد؟ ربما لديه من يمده بالمعلومات" ...

"أرنو دي مونبريان" كان يتابع بانتباه تبادل الكلمات الثنائية المعنى بين الصحفية وموظف الفندق. واقع الأمر، استطاع "أرنو" – هو أيضا – أن يلاحظ كلامه الغامض. قرر التدخل الفوري. قال:

– تعالي يا "أورينا".

اقتربت منه، واتجه الاثنان نحو الباب. همس الرجل إليها بصوت يستطيعان سماعه:

– أمسية سعيدة.

ابتعدا. بالقرب من بوابة الفندق، أمسك "أرنو" بذراع "أورينا" التي سعدت كثيراً بالحركة، وأثارت مشاعرها فلم تفكر في الاعتراض. قال "أرنو":

– عندي مفاجأة لك. مفاجأة في البداية، ثم رجاء ثلبية فيما بعد، لكن كل شيء في وقته...

اتجها نحو الميناء، كان المركب "آريان" راسيًا في مكانه في مواجهة محل بيع التحف والهدايا الذي يمتلكه "آرون لي جارن"، وكان المحل مغلقاً. على ظهر المركب، كانت منضدة مفروشة تعلوها أطباق بها ماكولات بحرية. أشار "أرنو" بيده شارحًا الموقف:

– أتمنى أن أتناول العشاء معك بمفردنا، وأرجو ألا يكون هناك اعتراض. ابتسمت له لتطمئنه، وقفزت برشاقة إلى ظهر المركب، تبعها "أرنو"، ثم ما لبث أن دخل إلى كبينة المركب لياتي

بمشروب مثلج قبل الطعام. لأول مرة لاحظت المرأة محتويات الكبينة. كانت مجهزة بشكل راق يدل على ذوق رفيع.

نوع من عش المحبين حيث عاش السعادة برفقة "آريان"، باتفاق مشترك تجنب الشابان خلال عشائهما الموضوعات التي تشغل بالها منذ محادثتهما بالأمس. و"أرنو" لم يشر من قريب أو بعيد بشيء عن رحيله المفاجئ ولم تشأ "أورينا" أن تسأل عن السبب أو أن تتحدث في ذلك الموضوع.

خلال محادثتها، شعرت المرأة بتقارب وجهة نظرهما في كثير من الموضوعات التي تطرق إليها الحديث: الفن، السياسة، الحياة. كانا يصلان إلى نفس الآراء. وكلما نظرت إليه وجدته جذابا، هذا الرجل الذي يليق عليه، ويبدو وسيما في لبس السهرة، وكذلك لبس البحار. من جانبه فإن "أرنو" لم يضع فرصة واحدة يبدي فيها إعجابه بالمرأة الشابة إلا وفعل، ولكن بتحفظ خشية أن يكون غزله فظا وإبداء إعجابه شيئًا محرجاً.

كان الليل قد هبط منذ وقت طويل، وظل الاثنان على سطح المركب طويلا، مستمتعين بجمال طقس الليل على أنغام الموسيقى الكلاسيكية. قال "أرنو" أخيرًا:

– لقد حدثتك عن رجاء، أعتقد أن وقته حان الآن لأطلبه منك.

– إنني أسمعك...

أمسك بيديها للحظات قبل أن يقول:

– أريد الذهاب معك إلى الأرض البائرة في المكان الذي حدثتني عنه هذا الصباح.

شعرت "أورينا" بقلبها يخفق بشدة. هي أيضا كانت تشعر بالحاجة إلى العودة هذا المساء إلى منطقة الأدغال، تدفعها الحاسة

السادسة، ليس بغرض اكتشاف نفس المشهد الجنوني الذي عايشته أمس، ولكن ربما يكون هناك الجديد.

قالت:

– بكل سرور.

– أشكرك، إذا سمحت لي فسوف أخرج سلاحي الخاص...

نهض "أرنو" ودخل إلى كبينة القارب للحظات. عندما خرج كان يدفع أمامه موتوسيكلا ياباني من الحجم الصغير، كان تحفة ميكانيكية. اندهشت الصحفية، وقالت:

– إنه يسير؟

– بالتأكيد، سيتيح لنا أن نصل إلى منطقة الأدغال أسرع، وبمجهود أقل من دراجتك...

خلال ثلاث دقائق، كانا يسيران مثل فريق غريب نحو منطقة الأدغال. ضحكت "أورينا" من مظهرهما. "هو يرتدي بدلة السهرة ويقود هذا المني موتوسيكل وأنا أمسك به..." "دون كيشوت" و"سانشو بانسا" يرحلان ليحاربا طواحين الهواء".

لكن المرأة عادت جادة مرة أخرى، وتذكرت أن أولئك الذين يذهبان لعراكهم أو على الأقل لمراقبتهم ليسوا طواحين هواء، إنهم خطرون، خطرون جداً. موت "آريان دي مونبريان" يدل على ذلك. قالت:

– هدئ يا "أرنو"، إنه هنا!

أوقف الرجل آلته الميكانيكية في بداية الطريق الرملي الذي يؤدي إلى البراح حيث يقام الاحتفال. مرة أخرى، فإن التناقض بين لباسهما: بدلة السهرة والفستان الضيق المسائي والمنظر الخيالي لتلك الأرض البائرة أثار ضحك "أورينا" التي لاحظت

بنظرة من "أرنو" أنه أيضا يشعر بغرابة الموقف. كانت رياح البحر تهب عاتية على أرض "بريتاني" الخالية، محركة أوراق الأشجار ومثيرة للرمال في عواصف تؤذي العين. اقتربت "أورينا" لا شعوريا من "أرنو" والتصقت به. قالت له:

– إنني أشعر بالبرد قليلا.

لكن ذلك لم يكن سوى بعض من الحقيقة. ما لم تصرح به، لكنه استطاع أن يفهمه. إنها كانت لديها الرغبة في أن تجد ملاذا مع ذلك الذي تحبه. مال عليها وهمس قائلا:

– أعدك بأن الأشياء سوف تتبدل، عندما ننهي تلك المشكلة... إذا أردت بالتأكيد.

لم تجد شيئا ترد به. بعد عدة دقائق من المشي في الطريق، وصلا إلى البراح حيث أقيمت حفلة الطقوس الغريبة التي حضرتها "أورينا" بالأمس منذ أربع وعشرين ساعة. كان "أرنو" يتبع "أورينا" محاذيًا للحائط، في وسط الفضاء الموجود بين الأشجار وكانت توجد المنضدة الحجرية غير بعيدة عن النصب التذكاري الذي شاهدته بالأمس. تلعثم "مونبريان" قائلا:

– إنه هنا إذن...

بهدوء مثل الموظف الذي يصعد إلى منصة، اقترب من المنضدة الحجرية التي كانت تبلغ مساحتها حوالي ثلاثة أمتار عرضا وأربعة طولا. كانت مهيبة المنظر يحيط بها نوع من نبات الفصيلة الوردية ذهبي اللون. اضطربت مشاعر "أرنو"، ظلت "أورينا" خلفه بعدة خطوات، كانت تفهم جيداً مشاعر الرجل وحزنه. بدون شك كان يتخيل أنه على مكان مثل ذلك لا يبعد كثيرًا في تلك الناحية ولإحياء تلك الطقوس البربرية فإن المرأة التي أحبها قد غُدر بها

وقتلت بوحشية. شد "أرنو" على قبضة يده بقسوة كما لو كان يستعد لضرب أحد. بهدوء اقتربت منه "أورينا" في وسط البراح وربتت كتفه في حركة أفزعت الرجل. قالت له:

– اهدأ يا "أرنو"، أرجوك... التفت "مونبريان" إليها. كانت عيناه مملوءتين بالدموع، ويعكس وجهه حزنه الشديد. اضطربت "أورينا" حتى شعرت بأنه ينظر إليها بشكل غريب. قالت:

– لنرحل، لن يفيد شيئا البقاء هنا...

أمسكت بذراعه ومشيا عدة خطوات. في أقل من ثلاث دقائق، كانت الأدوار قد تبدلت، إن "أورينا" الآن هي التي تمسك بذراع الرجل وتحميه. قال "أرنو" وهما يمشيان على الطريق الرملي:

– إنني لا أرغب حقيقة في أن أعود الآن، لنتمش قليلا، هل تريدين؟ لم ترد بشيء، ومشيت في طريقها. بدا في يد، ظلا يتقدمان وظهرهما إلى البحر إلى داخل شبه الجزيرة. كانت هذه المنطقة السياحية خالية من السكان، ويوجد بها بعض المزارع المهجورة.

شعرت المرأة بالسعادة من هذه النزهة الخلوية مع "أرنو". حتى لو كان الحزن يسيطر على مشاعر "أرنو" ويبدو واضحا في عينيه، حتى لو كانت هذه التمشية تبدو وكأنها زيارة الأطلال أكثر منها نزهة ترفيهية، فإن مشاعر المرأة كانت مبتهجة من تلك اللحظات التي تقضيها مع صديقها. قالت لنفسها: "بالتأكيد، فإن شبح "آريان" لا يزال بيننا، لكنه من الطبيعي ألا ينساه في لحظة لاسيما ونحن في المنطقة التي شهدت مقتلها"... صامتان، لكن ماذا عساهما أن يقولا؟ كان الكلمات غير ذات معنى، ليست مفيدة. تابعا طريقهما في اتجاه أطلال أحد

المنازل، مزرعة قديمة على هيئة حرف "L".

كان ضوء القمر ساقطًا يملأ المكان، مناظر الصخور المنصوبة على شكل "مانهير"، والحوائط المتهدمة وظلالهما أفزعا "أورينا" التي تشبثت بيد "أرنو"، همس لها:

– لا تخشي شيئًا، أنا هنا، وسأدافع عنك عند الحاجة. بعض السحب مدفوعة بالرياح الشديدة مرت أمام النجم الساطع فحجبت الضوء للحظات، تغير المنظر بعض الشيء وزاد الضوء الخافت في المكان من وحشته وغرابته. مال "أرنو" إلى المرأة الشابة وهمس لها في أذنيها، كما لو كان لا يريد أن يعكر صفو الليل:

– إنني لم أمر مطلقا من هنا، فيما يبدو أننا نقترب من شبكة من الصخور المنصوبة، أترين يوجد الكثير والكثير...

كانت "أورينا" تلاحظ في لحظات ضوء القمر تلك الأحجار الضخمة المنصوبة نحو السماء في رسالة صامتة وغامضة. إنهما الآن يمشيان في طريق كالممر، تعلو على جانبيه حجارة ذات حجم كبير. اندهشت "أورينا" قائلة:

– يبدو أننا وصلنا إلى معبد.. لكنني لم أعرف بوجود مثل تلك المعابد هنا.

– إننا هنا تقريبا في وسط الجزيرة. لا أحد يأتي تقريبا هنا، كل السائحين يظلون بالقرب من البحر...

بعيدا بقدر ما طالت أبصارهما أن ترى فإن الحجارة كانت لا تزال تمتد شيئا فشيئا تحت أقدامهما، فالطريق الرملي بدأ يتحول إلى درب يسلكانه.

ارتعشت "أورينا"، لم يكن البرد السبب لكن خوفًا استقر بداخلها، شعرت بظلام يجتاحها. قالت لنفسها: "لدي شعور

بأننا متبعان، كما لو كانت عشرات العيون تحملق إلى رقبتي.. إذا تحدثت إلى "أرنو" فسيجدني مثيرة للسخرية" ! بسرعة، استدارت خلفها بحركة مفاجئة لتفاجئ من تعتقد أنه يراقبهما، لكن الليل لم يتح لها أن ترى أي شيء. سألها "أرنو":

– ألديك نفس الشعور بأنك متبعة؟

هزت رأسها في علامة موافقة.

تابع هو حديثه قائلا:

– إنه شعور يغمرني منذ بضع دقائق. لم أجرؤ على الحديث معك، لكنني الآن شبه متأكد...

– أنا أيضا. مع ذلك استدرت لأرى من هناك، ولكن لا يوجد أحد.

كل شيء حدث بسرعة حتى إن الشابين وعيا بصعوبة سير الأحداث. في البداية سمعا صرخة. لكن لم تكن صرخة ألم وطلب نجدة كالتي سمعتها "أورينا" بالأمس، وليست بعيدة عن هنا، وليست كذلك صرخة فرحة أو نشوة كالتي تسبق وقوع ضحية في شرك. صاح "أرنو":

– ما هذا؟

لكن الوقت كان متأخراً، لم يستطيعا التحرك كثيراً بعد دخولهما السجن، في الفخ الذي نصب لهما. قيدت شبكة الصيد – التي وقعا فيها – حركتهما. كانت تغطيهما بالكامل مما جعلهما يرتبكان في حركاتهما ويفقدان اتزانهما ويقعان على الأرض أحدهما على الآخر، سألها "مونبريان" قائلا:

– هل يؤلمك شيء؟

– لا، الأمر على ما يرام، لكن من...

كانا يتساءلان عن المكان الذي أتت منه الشبكة لأنه منذ صرخة الانتصار – التي سمعاها والتي سبقت وقوعهما في الشرك المنصوب – لم يكن هناك أي دليل على وجود إنسان. استجمعا قوتهما، وعملا بطريقة منظمة حتى بدآ يتحرران من الفخ الذي نصب لهما، ويخرجان من السجن المحجوزين فيه. لاحظ "أرنو" قائلا:

– إنها شبكة صيد. يبدو أنها مازالت تستعمل، شمي رائحة السمك. لم أعتقد أن هذه الشباك يمكن أن تصطاد آدميين أيضا...

علت ضحكة في ظلام الليل سكنت معها حركاتهما. قال "أرنو" متسائلاً بصوت عال:

– من هنا؟

لحظة صمت وارتفع الصوت من جديد، لكن هذه المرة لم تكن ضحكة واحدة وإنما عشرات وربما عشرين... مئات من الضحكات العالية.

شعور بالاختناق غمر "أورينا" من تلك الضوضاء الغامضة والتي لا تستطيع أن تحدد مصدرها، اضطربت، وخارت قواها فلم تستطع أن تنسق مجهودها مع رفيقها.

صاح "أرنو" مرة أخرى:

– لكن اظهروا.

كانت حركات "أرنو" مضطربة مما جعل خروجهما من الفخ عملا صعبا. شعرا بالاختناق ثم ما لبث الهدوء أن عاد مرة أخرى إلى المكان بعد أن كفت الأصوات عن الضحك. تلعثم "أرنو" قائلا:

– إنهم مازالوا هنا، أشعر بهم حتى إذا لم أرهم.

كانت "أورينا" تختنق من سجنها في تلك الشبكة وتتمنى

الخروج، اتجهت إلى "أرنو" قائلة:

– سأُعد إلى ثلاثة يا "أرنو"، سنحاول أن ننهض، موافق؟ سأبدأ العد: واحد، اثنان... دُفعا مرة أخرى بالأيدي الخفية التي جعلتهما مشلولي الحركة بداخل تلك الشبكة، وسرت في الجو رائحة قوية تشبه الدواء، وبدأت "أورينا" تغيب عن الوعي.

شيئا فشيئا بدأت "أورينا" تسترد وعيها، بهدوء وخلال عدة دقائق بدأت تحرك ذراعيها ثم ساقيها حتى تتأكد أخيرا أنها مازالت سليمة. كانت آخر مرحلة في استرداد وعيها هي أن تفتح عينيها، لكنها أجلت ذلك حتى تستطيع أن تستجمع ما حدث لها: "كنت أمشي مع "أرنو" على أرض "بريتاني" البائرة عندما صرخ أحد ما. ثم ألقى علينا شبكة صيد لم نستطع الخلاص منها.. ثم كانت هناك هذه الضحكة، الضحكات بالتحديد، وأخيرا تلك الأيدي على وجهي ورائحة "الكلوروفورم". بعد ذلك، فقدان الوعي"....

مرة أخرى تمددت "أورينا". كل أعضائها بخير. وعلى الرغم من بعض الآلام الخفيفة التي كانت تشعر بها في ظهرها فذلك يعود بدون شك للوضع غير المريح الذي كانت توجد عليه. إلا أنها كانت تشعر بأنها بحالة جيدة. قالت لنفسها: "افتحي عينيك لتري أين أنت"... سرت رائحة قوية في الجو، كانت مزيجا من الزيت والسمك. قالت المرأة لنفسها: "يبدو أنني مازلت في "كيبيرون" أو على الأقل في الإقليم. لكن كم من الوقت ظللت فيه فاقدة للوعي"؟ بهدوء وبحذر حتى لا تجذب الانتباه، رفعت جفنها ثم الآخر. كان الظلام دامسا حولها، فقط شعاع ضعيف يتسرب من إحدى النوافذ المكسورة. ببطء

تعودت على الظلام، وبدأت تتعرف على البيئة التي توجد فيها. "حجرة صياد بدون شك. شباك جافة في السقف حيث تنبعث منها رائحة السمك. ولا أحد يحرسني".. فجأة نبهها إحساسها بوحدتها لعدم وجود "أرنو". "أرنو"... أين "أرنو"؟ من المستحيل أن يكون قد فلت من هؤلاء الأشخاص. إذن أين يمكن أن يكون؟ يا ليتهم لا يؤذونه"...

كما كان – من قبل أثناء نزهتها مع "أرنو" على الرمال – ضوء القمر يظهر ويختفي من وراء الفتحة المكسورة في سجنها. أعطاها ذلك إحساسا بأن وقتا قليلا قد مر منذ تم اصطيادها بواسطة الشباك. فكرت: "من جهة أخرى فإن "الكلوروفورم" لا يؤدي إلى فقدان الوعي طويلا. ربما ساعة ليست أكثر"... نهضت المرأة من على أرض المكان، وبدأت تتمشى في المكان تتفقده. كان سجنا لا يزيد عن ثلاثة أمتار في أربعة. "سأحاول أن أكسر الباب وأهرب"... اقتربت من الباب الخشبي ودفعته بعنف. كان واضحا أن السجن محكم الغلق. مرة أخرى حاولت. لم تستطع "أورينا" أن تزحزح الباب سوى لعدة سنتيمترات قليلة لا تكفي حتى لإلقاء نظرة إلى الخارج.

"النافذة، حاليا.. يجب أن أهرب بأي وسيلة من هذا المكان"... مثل الباب، كان الشباك محاطا بقضبان حديدية، وذهب مجهود المرأة سدى. سقطت المرأة على أرضية المكان محبطة وبدأت تفكر في وضعها: "الله وحده يعرف من أسرني ولأي سبب. أنا لا أعرف كم من الوقت سأظل هنا، وماذا سيفعلون بي، في الواقع، وأنا أسيرة في هذه الحجرة المظلمة فإنني في أقصى درجات الإحباط"...

مرت الدقائق والساعات، وندمت "أورينا" على تركها

لساعتها في حجرة الفندق، وهي تسرع لتلبي دعوة "أرنو". إذا كانت معي، كنت سأتعرف على الوقت"... من خلال فتحة الشباك كانت تلاحظ تغير الضوء واختلاف لونه من الأزرق إلى الأحمر الوردي قبل أن يتجلى واضحا ضوء الشمس. بدأت تفقد صبرها شيئا فشيئا. "إنني لن أظل هنا إلى ما لا نهاية! لابد أن أخرج"! لكن الساعات تمر ولا يطرأ أي جديد على مصيرها، في نفس الوقت، كان قلقها يزداد. صورة "أرنو" لا تفارق خيالها والآن بدأت تقلق على مصير الرجل أكثر من مصيرها هي، وبدأ الخوف عليه يقتلها.

"انتظري، انتظري.. واصبري... تمني خيراً"...

الفصل السابع

– انهضي!.. كان الصوت جافًا وآمرًا. فزعت "أورينا" كما لو كانت قد سمعت إهانة لها. كانت شبه فاقدة للوعي تحت التأثير المزدوج للتعب والجوع. بشكل لا إرادي التفتت نحو المكان الذي يأتي منه الصوت. عند مدخل الباب، رأت شبح شخص واقفًا يرتدي حلة بيضاء واضحة في ظلام الليل. فكرت "أورينا": "إن الليل قد دخل، إذن لابد أنني قضيت طيلة اليوم هنا؟ لكن المؤكد أنهم بحثوا عني في "كيبيرون". و"باتريس" بلا شك اتصلت من "باريس" لتعرف إلى أي مدى وصلت في مقالي عن "آريان دي مونبريان".

– "آريان دي مونبريان".

كررت المرأة هذا الاسم همسًا. إن هذا الرجل الذي ينتظرها

عند الباب لابد أنه أحد أعضاء جماعة "الإنوانيون".. هل سوف تعيش بدورها نفس مصير زوجة "أرنو"؟ أتموت هنا كقربان لإله بربري، ولترضي هؤلاء المشعوذين؟

"ذلك مستحيل، لا أريد"...

– انهضي، إنني أنتظرك!

ظهر على الرجل ذي الرداء الأبيض عدم الصبر. نظرت "أورينا" إليه لكنها لم تستطع أن تتحقق من ملامحه. كان مرتديا قناعًا أسود، يغطي وجهه حتى ذقنه.

إن القناع القطني الأبيض بلا شك مخصص لزعيم طائفة "الإنوانيون" "آرون لي جارن". إذا كان "أرنو" رآه حقاً. ذلك الرجل الذي أمامها فلابد أن يكون عضوا عاملاً من أعضاء الجماعة. نهضت المرأة، ووقفت وجهًا لوجه أمام حارسها الذي كان واضحًا أنه يفوقها طولاً. قالت:

– إنني جاهزة. أين ستذهب بي؟

– لا تلقي أسئلة.

أمسك بذراعها، وضغط عليه بقسوة. شدة الرياح كانت سببًا لتعثر "أورينا" التي كانت في أقصى حالات ضعفها: فهي لم تذق أي طعام منذ مساء أمس. أربع وعشرون ساعة من الصوم، يضاف إليها الإرهاق الشديد، والقلق على مصيرها. كانت حجرة الصيد المحبوسة فيها "أورينا" تقع أسفل سور صغير من الحجارة يفصل بين حقلين شاسعين من نبات السرخس والجولق البرية. سور ثان أكثر ارتفاعًا كان يفصل الحقلين. وجدت "أورينا" نفسها مازالت في منطقة الأدغال، كانت تتلفت يمينًا وشمالا لتحاول أن تحدد مكانها، كان وجود الحجارة المتناثرة في كل

مكان، والمنظر القديم لا يتكرر في هذا الإقليم. المعلومة التي توصلت إليها المرأة من خلال ملاحظتها تساعد على حل إحدى المشاكل التي تشغل بال المرأة. "إذن مازلت في "كيبيرون". كنت أشك في ذلك من قبل. لم يستغرق نقلي إلى هذا المكان وقتا... يبقى الآن أن أعرف ما يريدونه مني، وما حدث لـ"أرنو". لم تتأخر إجابات هذه الأسئلة، يصاحبها دائما حارسها ممسكًا بشدة بيدها، مشت عدة مئات من الأمتار على المنحدر الصخري تدفعها الريح قبل أن تصل إلى طريق ينتهي بسلالم بين الصخور تؤدي إلى الماء. كان المنظر مخيفًا. اعترضت "أورينا" قائلة:

– لا يمكن أن نمر من هنا، ذلك صعب للغاية!

– تقدمي. دفعها الرجل بأسلوب عدائي حتى تكمل طريقها. بنظرة قلقة، تأملت "أورينا" ذلك المهبط وخافت على نفسها من السقوط من ذلك الارتفاع الذي يبلغ حوالي خمسين مترًا: "لكن لا يجب أن أخشى السقوط ولا أحاول الفرار من هؤلاء المجانين".

– أسرعي!

كان الإنواني يحثها على السير ويدفعها أحيانا كثيرة. بعد لحظات تردد، كانت المرأة تذعن لأوامر الرجل قائلة: "كما تريد".. طوال النزول من على ذلك المنحدر، كانت السلالم المنحوتة بين الصخور جيدة الصنع، وتساعد جيدًا على المضي قدما في الطريق على الرغم من عدم ظهورها من أعلى المنحدر. "شيء لا يصدقه عقل! إنها سلالم حقيقية. من إذن نحت هذه السلالم، إنه لعمل شاق".. بمهارة عجيبة كما لو كان متدربًا على هذه الرياضة كان حارس "أورينا" يتبعها ولا يعيقه ذلك الرداء الذي لا يناسب – بطبيعة الحال – ذلك النوع من الرياضة.

في نهاية طريق النزول وصلا إلى شاطئ ذي رمال ناعمة تمامًا كالتي توجد على الشاطئ الكبير. فكرت "أورينا" "ماذا سوف نفعل هنا؟ لا يوجد شيء هنا... سوى رمال وجرف صخري"..

التفتت المرأة، ونظرت إلى الرجل ذي الرداء الأبيض الذي كان على آخر درجات السلم. كان الحارس ساكنًا يراقب نقطة معينة غير واضحة في البحر. كان عرض الشاطئ يبلغ حوالي ثلاثين مترًا، لابد أن تغمره المياه عند المد العالي. "لن نظل هنا. لا يوجد أي مكان يمكن أن نحتمي فيه".. ظلا واقفين على الشاطئ لما يزيد على اثنتي عشرة دقيقة. كان الرجل – دائما – صامتًا. و"أورينا" لا تطارده بالأسئلة مقتنعة بأن الرد سيكون تعنيفًا لها بلزوم الصمت. فجأة تحرك الرجل ذو الرداء الأبيض. أخرج من جيبه شيئًا ما لم تستطع "أورينا" أن تحدد ماهيته إلا عندما صدر منه ضوء في اتجاه البحر. "إنها بطارية جيب"..

أضاء الحارس البطارية أربع مرات متعاقبة ثم أطال الإشارة في المرة الخامسة. على هذه الإشارات ردت بطارية أخرى، أحد المصابيح الموجودة على مركب في عرض البحر. "أربع إشارات قصيرة، الخامسة طويلة... لابد أنها إشارة متفق عليها". قال الرجل:

– سوف نستقل ذلك المركب. استعدي! اقترب الرجل إلى الشاطئ حتى لامست قدماه أمواج الشاطئ. قالت "أورينا":

– نركب مركبًا؟ لكن على أي شيء؟ لا يمكن لأي مركب أن يقترب من المناطق البرية حيث تنتشر الصخور، ذلك خطر جدًا.

لأول مرة، وضح على الرجل التفاخر، أطلق ضحكة صغيرة ساخرة قائلا:

– يوجد ممر. أنت لا تعرفين البريتانيين جيدًا. لا شيء بالنسبة

لهم مستحيل.

خلال لحظات، غطى صوت محرك مركب الأجواء، ما لبث أن ظهر مركب صغير يقوده شبح رجل يلبس رداء أبيض. قالت "أورينا" لنفسها: "إنواني آخر. لكن إلى أين سيذهبون بي؟ أنا لا أريد أن أترك "كيبيرون" ، ذلك يقلل فرص العثور عليَّ..."

– إلى أين ستذهبون بي؟

لم يلفت السؤال انتباه حارس "أورينا". كان قد تقدم عدة أمتار إلى داخل المياه في انتظار وصول القارب الصغير ليساعد قائده. في لحظة، قررت "أورينا" أنه لم يبق لديها أي فرصة للنجاة، وأنها يجب أن تتصرف سريعًا إذا أرادت أن تفلت من هذه الرحلة، وتنجو من مصير غامض. بحيوية ومستفيدة من عدم يقظة الحارس، جرت "أورينا" في اتجاه المنحدر الصخري، كانت قد قررت أن تصعد تلك السلالم المنحوتة وسط الجُرف إلى أعلى وتواصل هروبها. لم تكن قد جرت سوى عدة أمتار عندما سمعت صوت حارسها من بعيد. لحظة فيما بعد، كان ضوء مصباح الجيب مسلطًا عليها – صاح الرجل:

– توقفي! لن تستطيعي الهروب...

على الرغم من هذا التحذير، إلا أن "أورينا" تابعت صعودها، لكن كان فستانها الضيق لا يساعدها كثيرًا على الإسراع في الصعود من درجة إلى أخرى كما كانت ترجو من لحظة إلى أخرى، بدأت تتنفس بصعوبة. كانت تستريح لحظات ترفع خلالها النظر لترى المسافة التي بينها وبين حارسها. كانت تبدو لها بعيدة، تقريبا لا يمكن جريها. في أعلى، السماء مرصعة بالنجوم وتبدو كما لو كانت تبارك وتشجع هروبها.

جرت عدة أمتار أخرى عندما شعرت بنفس قوي بالقرب منها، لحظة وامتدت يد إلى خصلات شعرها المتدلي على عنقها وجذبته بقسوة مما جعلها ساكنة في مكانها.

– ترحلين إذن؟ تودين الهروب...

كانت نبرة الصوت ساخرة من تلك المحاولة اليائسة للهرب والتي باءت بالفشل. في الحال فهمت "أورينا" أنها لعبت وخسرت كل شيء ليس أمامها سوى الإذعان لإرادة هؤلاء الجهلاء الذين يدفعونها بالقوة إلى ركوب القارب إلى جهة مجهولة. همس الحارس وقد شعر بأن مقاومة المرأة تضعف:

– هانت عاقلة الآن.

قالت بتنهد:

– سوف أنزل...

خف الضغط على شعرها، واستفادت "أورينا" من تلك اللحظة في الاستعداد من جديد للهرب: "لكن لا، لن يكون ذلك مفيدًا، سيتبعونني بدون صعوبة، ثم إنهم يراقبونني من قريب. يجب أن أتظاهر بالاستسلام"... تظاهرت فعلا بما ينتظره الرجلان منها. بدأت تنزل السلالم التي صعدتها بصعوبة. بعد قليل عادت إلى نفس المكان.

قال حارسها:

– إنك عاقلة، ذلك حسن.

كان الإنواني الآخر يظهر عليه القلق والحيرة. قال:

– لقد ضيعنا كثيرًا من الوقت، يجب أن نذهب سريعًا. إن المد يعلو سريعًا.

بالفعل، كان الشاطئ الممتد الذي نزلت إليه "أورينا" أول مرة

لم يعد به من الرمال سوى ثلاثة أمتار عرضًا. كانت الأمواج تتلاعب بالقارب الصغير. قال قائد المركب:

– فلنسرع قليلا، وإلا فسنجد أنفسنا محجوزين وسط الصخور. اركبوا!

كان الأمر الفظ موجهًا في المقام الأول إلى "أورينا" التي استقلت المركب. بدأ القائد يدير المحرك بينما كان حارس الصحفية يدفع المركب في المياه. لحظات، وكان الثلاثة يبحرون في اتجاه عرضي. عندما اقترب القارب من الصخرة الضخمة التي كانت تفصل الشاطئ عن عرض البحر، ارتفع فجأة إلى أعلى بفضل الأمواج العالية المتعاقبة ممسكة بكل قوتها بحبال المركب توجهت "أورينا" إلى السماء في صلاة صامتة. سمعت كثيرًا من قبل عن قصص غرق في تلك المنطقة، واحدة من أخطر المناطق في إقليم "بريتاني" "أموت بدون رؤية "أرنو"؟ أبدًا! لكن الله وحده يعرف أين هو الآن وماذا يفعل"...

كان القارب الصغير يتأرجح وسط الأمواج العاتية والرياح القوية. كانت قوة الطبيعة لا تساعد على تقدم القارب بشكل يسير، كانت مقاومة الرياح له مستمرة حتى ساد بين الركاب الثلاثة الانطباع بتوقف المركب وعدم تقدمه. على دفة المركب، كان واضحا أن الإنواني يؤدي معركة خاسرة لا محالة. فجأة هدأ كل شيء وعادت الأمواج إلى السكون، وأصبح سطح البحر ملسًا كالزيت. سفينة صيد كبيرة حالت بين الرياح والمركب الصغير. هبط على سطح القارب سلم من الحبل. قال الحارس لـ"أورينا":

– اصعدي!

أطاعت "أورينا" أمر حارسها سريعًا وهي سعيدة بترك هذا

القارب الصغير الذي عاشت فيه لحظات قاسية من الخوف. لم يكن خوفها نابعًا من عدم شجاعتها إنما من قدرة الطبيعة وعدم تحكم قائد المركب في قاربه، كل ذلك شعرت معه بعدم الأمان صاعدة السلم، طرأ إلى عقلها فكرة ساخرة، أعادت إليها الطمأنينة والأمل من جديد.

قالت لنفسها: "في جميع الأحوال لن يكون الأمر سيئًا على مركب الصيد هذا... سوى أن رائحة السمك هذه لا تحتمل"... أول ما اقتربت "أورينا" إلى داخل سفينة الصيد شعرت برائحة السمك تزكم أنفها، كانت قوية جدًا. سمعت "أورينا" صوتا يقول:

– مرحبًا بك على متن "چان".

كذلك، صوت آخر يبدو عليه الغضب صاح في صاحب الصوت الأول قائلا:

– لا أسماء، هل أنت مجنون...؟

– لا يهم، إنها رحلة ذهاب فقط!

تبع تلك الجملة ضحكات كثيرة. من جانبها لم تجد "أورينا" نفسها مندهشة: "ذهاب فقط؟ أخشى أن أكون فهمت جيدًا".

– تعالي!

دفع الرجل الذي رحب بـ"أورينا" في البداية – وهو أحد أعضاء جماعة "الإنوانيون" – بلباسه الأبيض المماثل تمامًا لرفاقه. صاحب الرجل المرأة إلى كبينة المركب التي تستخدم كمكان للقيادة واجتماع طاقم السفينة. خلف منضدة عليها مجموعة من الزجاجات الفارغة، كان يوجد سرير صغير بطول الحجرة. أشار إليه الرجل وحدث المرأة قائلا:

– نامي هنا، وحاولي أن تخلدي إلى الراحة. أمامنا تقريبا ساعة وربما اثنتان، حسب الأحوال...

لم تكن هذه الجملة تقال لفاقدة سمع. ساعة؟ "هناك احتمالان: إما أننا نترك المنطقة إلى أعالي البحر أو أننا نسير عرضيًا في اتجاه الجزر. الجزيرة الجميلة تبعد أقل من ساعة عن "كيبيرون". تبقى "أويت" و"أويدك" الجزيرتان الصغيرتان المتشابهتان. إنني أعرف جيدًا أنهما تقريبا مهجورتان بعد الموسم السياحي، من يعرف؟ ربما تكون إحداهما هي وجهتنا"؟. حاولت "أورينا" أن تحصل على معلومات أكثر بمتابعة الحديث مع الرجل ذي الرداء الأبيض. قالت:

– أشعر بالجوع. لم أتناول شيئًا منذ مساء أمس.

بدلاً من الإحساس بمشاعر المرأة ومصيرها، رد الآخر بتعليق ساخر قائلا:

– ألاحظ قوامك. لن تكوني سوى أجمل. يالها من خسارة! فضلا عن ذلك ليس لي الحق أن أمسك. أراك جميلة جدًا. تصدقين ذلك؟!

كان الرجل يتكلم بطلاقة مستخدماً عبارات واضحة مما أتاح للمرأة أن تفضله عن الرجلين الآخرين اللذين أتيا بها إلى سفينة الصيد. "كانا أقل ثقافة. ذلك يدل على أن هؤلاء الأشخاص ينتمون لمختلف طبقات المجتمع. تنظيمهم يبدو رائعًا. بدأت الآن أفهم تردد وتحفظ رجل الشرطة. قضية مهمة يعرف أبعادها. على الأقل إذا لم يكن ينتمي لهذه الطائفة! ستكون الكارثة لكنها لن تكون باعثة للدهشة. يمكنني أن أتوقع كل شيء الآن". علا صوت محرك السفينة التي كانت بطيئة الحركة

حتى هذه اللحظة وبدأ ينتظم إيقاعها. تحركت السفينة في خط مستقيم فيما يبدو، وحسب تقدير "أورينا".

على دفة السفينة كان يقف رجل، الوحيد الذي لم يكن يرتدي الرداء الأبيض للطائفة. كان مثل كل رجال مهنته مرتديًا بنطلونا أزرق وبلوڤر من نفس اللون. كان يبدو كما لو كان غائبًا لا يشغله سوى حُسن توجيه السفينة من بين المنحدرات الصخرية التي تملأ تلك المنطقة. "شخص غريب لا مبال، ويبدو عليه عدم الاهتمام بتحركات الآخرين"... في مقدمة المركب كان يتجمع ما يزيد على عشرة من أعضاء جماعة الإنوانيون" يتجادلون ونظرهم مركز على خط سير المركب.

تمنت "أورينا" أن تتحدث مع هذا البحار، لكنه تظاهر بعدم سماعه لندائها. خلال عدة دقائق، مدفوعة بالإرهاق وانفعالاتها المتراكمة، بدأت المرأة تغمض عينيها وتستغرق في سبات عميق. كانت حركة المركب "جان" الهادئة على سطح البحر مساعداً لها على سرعة النوم. كل ذاتها كانت مندفعة إلى الهدف الذي حددته. كانت "أورينا" تجري غير عابئة بالأعشاب البرية التي تعوق حركتها نحو هذا الشبح الذي يرتدي بدلة "سموكينج" ويبتعد عنها. كما لو كان لا يسمع النداءات المتكررة للمرأة والتي لا طائل من ورائها. كان الرجل يستمر في سيره، حتى على الرغم من خطواته البطيئة، فالمسافة التي بينهما تزيد مع جريها بمعدل عال. كانت أمنية المرأة الوحيدة أن تلحق بالرجل، بأي ثمن، وتترجاه أن يبقى... كانت الأرض يبدو أنها تتسع تحت قدميها وتزداد المسافة بينهما. والرجل يستمر في بعده...

– استيقظي!

فزعت "أورينا". هذه اليد المفاجئة، اليد التي تهزها لم تكن جزءاً من حلمها، ذلك الكابوس الذي تكرر ألف مرة بأشكال مختلفة منذ أن نامت في كبينة السفينة.

هزت المرأة رأسها. حولها كان يوجد رجال طائفة "الإنوانيون"، وهم مقنعو الوجوه بتلك الأقنعة السوداء، يتعجلون استيقاظها. هكذا نهضت ووقفت على قدميها. أسفل منها كانت أرض الكبينة ساكنة لا تتحرك فعرفت أن السفينة قد وصلت لمكان ما، رست في ميناء غير معروف. سألت "أورينا" الجمع حولها قائلة بشكل آلي:

– أين نحن؟

كانت تشك في إمكانية الحصول على إجابة. رد عليها أحد الرجال.

– لا يهم. خذي، ارتدي هذا!

مدّ أحد رجال الطائفة يده إليها برداء أحمر اللون، مماثل لذلك الرداء الذي كانت ترتديه تلك المرأة الشقراء في الاحتفال الذي حضرته "أورينا" بالمصادفة في منطقة "كيبيرون". بشكل عفوي، ارتعدت المرأة. أبلغ من أي كلمات، كان هذا اللون محدداً للمصير الذي سوف تلاقيه.

"يُضحى بي في أحد هذه الاحتفالات الوثنية! لكن ذلك مستحيل"... شعور غريب بشخص لا تعرفه سوى منذ ثلاثة أيام، وتجهل مصيره، "أرنو دي مونبريان" يفرض ذاته كمنجد لها، الرجل الذي يستجيب لندائها واستغاثتها لتنجو من هؤلاء السحرة الراغبين في إنهاء حياتها. "ذلك لا شك فيه، سوف يحدث لي نفس مصير المرأة الشقراء ونفس المصير الذي لاقته

أيضا "آريان دي مونبريان"، وذلك يثبت صحة رواية "أرنو" وهي لا تشك في ذلك"...

كانت واقفة في وسط كبينة السفينة تمسك في يدها الرداء الأحمر. لبسته فوق فستانها. كانت "أورينا" تتحرك بشكل آلي بعد أكثر ما يزيد عن أربع وعشرين ساعة من الإرهاق والجوع وعدم الراحة. كانت حركتها ميكانيكية يائسة، تأمل في تدخل من يستطيع إنقاذها من هذا المصير الذي ينتظرها. "وكل ذلك بسبب فضولي! لأن المركب يعود كل يوم في منتصف الليل.. ملعون فضول الصحفية، هانذا أعاقب"...

هذا الأسلوب الساخر أعاد إليها بعض الشجاعة، مشت تتبختر بهذا الرداء الأحمر الدموي حتى المرآة الموضوعة في آخر الكبينة، كان مظهرها مثيراً بهذا الرداء الأحمر "لا يمكن أن يقال إن الأحمر يجعلني نحيفة: فالواقع أن الأحمر لا يروق لي"... ابتسمت "أورينا" من مزاحها مع نفسها. هيا إذن، ربما يقتلونها، لكن لا يجب إظهار لحظة ضعف لهم. حتى آخر لحظة لابد أن أظل قوية ومعتزة بذاتي. دخل عليها الرجل الذي أعطاها الرداء الأحمر. قال:

– الآن، لابد أن نرحل. إنهم ينتظروننا.

– من (هم)؟

هاتان الكلمتان قيلتا برعشة خوف في نبرة الصوت. وضح الانفعال الحقيقي على الرجل ذي الحلة البيضاء عند ذكر زعيم طائفته.

أضافت "أورينا":

– أخيراً سيكون لي الشرف أن أقابل هذه الشخصية.

خلال دقائق شعرت المرأة بعودة الأمان لها. بدلا من ظهور

الخوف والانكسار عليها كانت تبدو في الوقت الحالي مشحونة بقوة جديدة تمنعها من اليأس والقنوط. في نفس الوقت فإن صورة "أرنو" التي تغيب أحيانا عن فكرها، كانت ماثلة بوضوح أمام عينيها. كانت تهتم بمصير "أرنو"، تشعر الآن بأنها تحبه، ربما جاءها هذا اليقين على عتبة الموت. على الرغم من المسافة التي تفصلهما بدون شك، على الرغم من شبح "أورينا" الماثل أمام عيني "أرنو"، وعلى الرغم من التهديد الذي تواجهه كانت تحبه.

– إنني أتبعك.

وراسها عال، خرجت "أورينا" من كبينة السفينة تتبع الإنواني. وضح الرجل تأثره بطمأنينة "أورينا"، ولمحت المرأة في عينيه موقف احترام. كان سطح السفينة خاليًا. من الواضح أن كل الرجال كانوا قد غادروا المكان. كانت السفينة ذاتها راسية في هدوء في مرسى صغير محاط بمنازل مغلقة النوافذ. استجمعت "أورينا" ذكرياتها: أين رأت هذا المكان من قبل؟ في إحدى النزهات السياحية بدون شك، لكن في أي مكان؟ "أويدك"... الجزيرة الصغيرة الموجودة في عرض البحر بـ"كيبيرون". إنني متأكدة"...

شعرت بالسعادة من وصولها لهذه الحقيقة. سألت مرشدها قائلة:

– إنها "أويدك". أليس كذلك؟

– نعم. لكن لماذا؟

لم تفقد "أورينا" شجاعتها من هذا السؤال. معرفة مكان وجودها، حتى إذا لم يفد ذلك حتى الآن في شيء، إلا أن ذلك كان بالنسبة لها رائعًا. مر الاثنان في طريق صغير يصل بين

السفينة والرصيف. كان الليل دامسًا. السماء التي كانت مضاءة بنور القمر والنجوم، انسدل عليه ستار أسود من الظلام.

الفصل الثامن

كان الطريق قصيرًا عبر الطرق المهجورة بالميناء الصغير. من مكان إلى آخر، مصباح من الكيروسين أعلى وتد ينير الطريق الذي تسلكه "أورينا" ومرافقها. اختلطت مشاعر المرأة الآن بداخلها بين الخوف والفضول، الخوف على مصيرها والفضول لما سوف تشاهده. بعد قليل. وصلا إلى طرف الغابة المتاخمة للقرية. أمرها مرشدها بالاتجاه إلى طريق فرعي تتكاثر فيه أشجار الصنوبر والبلوط. على شفتيها سؤال يؤرقها، كانت تتردد في إلقائه لشكها في أن تحصل على إجابته. على الرغم من ذلك، قررت الكلام، قالت:

– أين نحن ذاهبان؟

بفضول لمعرفة ما يدور في ذهن المرأة، ابتسم الرجل قائلا:

– نحن نقترب. إننا ذاهبان إلى منطقة احتفال. براح بين الأشجار– في منطقة تسمى مسرح السلتية. إنه أحد المناطق المقدسة في التاريخ السلتي في هذا المكان وقعت المبارزة الشهيرة بين اثنين من السليتين يمثلان إلهين متحاربين. غني عن الذكر أنها لم تكن مبارزة بالأسلحة البيضاء كما نسمع ونرى في هذه الأيام... لا، كانت مبارزة سحرية، كلاها يتسلح بالعلم والمهارة.

حكى الرجل هذه الأسطورة بأسلوب تغلب عليه السخرية مما أقنع "أورينا" بأن الرجل مخدوع بهذه الحكاية التاريخية للسليتين.

– ومن فاز بالمعركة؟

على الرغم من ظهور الرجل بمظهر غير المهتم والمتحرر من ضغوط ومراسم جماعته إلا أنه في السؤال الثاني لـ"أورينا" أظهر شيئًا من الاهتمام والاحترام لم يؤثر في "أورينا"، قال بيقين مصطنع:

– ممثل "تور". بالتأكيد!

(تور) من جديد. ذلك الإله الذي وجد أحد رجال الشرطة تمثالاً له في براح منطقة الأدغال والذي اكتشفت بنفسي تمثالاً آخر مماثلاً للأول في محل بائع التحف بـ"كيبيرون". عبادة طائفة "الإنوانيون" هي عبادة "تور". عبادة لذلك الإله الدموي".

في نهاية الممر كان يوجد المسرح الشهير للسليتين، براح فسيح محاط بشجيرات عطرة ونبات السرخسيات. كان يتوسط المسرح نصب من الدُلمن يرتفع نحو ثلاثة أمتار. هذا النصب الحجري المصنوع من الجرانيت مكون من الحجارة ويتخذ شكل صليب، كان يمكن أن يتسع لنحو خمسين شخصًا. "لا يوجد أحد". لاحظت "أورينا": "أين كل الرجال الذين حملتهم السفينة"؟

– أين رفاقك؟

– تريدين قول إخوتي؟ لا تقلقي، سوف ترينهم قريبًا!

اقتربا من وسط المكان، وبنبرة ابتهاج، أعلن مرافق "أورينا":

– سيبدأ الاحتفال...

"لم يكونوا سوى في انتظاري – سخرت المرأة من ذاتها – إنني سعيدة لعدم تأخري"...

قال الإنواني بنبرة آمرة:

– ابقي هنا!

أطاعت "أورينا" أمر الرجل. ماذا كان بيدها أن تفعل سوى ذلك؟ إنها تحت رحمة هؤلاء المشعوذين، وهي تعلم جيدًا أن أي

محاولة من جانبها للتمرد سيتم الرد عليها في الحال. ظلت ساكنة بجانب إلى النصب الحجري، بينما كان شبح المرشد الذي جاء بها يختفي في ظلام الغابة المجاورة.

شكل ما يجري من الأحداث كان خياليًا، ولم يغب ذلك عن "أورينا"، موقفها بدون حراك وسط ذلك البراح بقلب جزيرة مهجورة، ملابسها الأسطورية، ذلك الرداء الأحمر الدموي، هذا المحيط، كل شيء في النهاية غامض وباعث على الحيرة والارتباك.

مرت دقائق عديدة. ارتعدت "أورينا" بملابسها الخفيفة. منذ لحظات وهي تشعر بنظرات مصوبة إليها لا تعرف مصدرها. "لن أستطيع أن أظل بمفردي هنا طوال الليل، إنهم لم يأتوا بي لهذا المكان هكذا"... فجأة، ارتفع صوت ترنيم بطيء من وسط الغابة: غناء رتيب حزين صادر من مئات الصدور. كان الغناء شبيهًا بذلك الذي سمعته "أورينا" في احتفال الطائفة بمنطقة الأدغال. من كل الجوانب كانوا يتدفقون من داخل الغابة وآخرون من وراء النصب الصخرية المحيطة بالمسرح. أشباح ترتدي أردية بيضاء يتجهون إلى وسط البراح، إلى المنضدة الحجرية نحو "أورينا"...

بدأ قلب المرأة يخفق بشدة بصوت عال غطى على سماعها لذلك الغناء الرتيب.

تملك الصحفية شعور غريب: إنها توجد في هذا المكان كشاهدة لهذا الحدث الغريب، لكنها في نفس الوقت بطلة الاحتفال. وربما ممثلة لدور الضحية... "لكن ذلك لا يمكن أن يكون، لن أموت هنا، الآن"...

مرّ شريط ذكرياتها الماضية سريعًا أمام عينيها، بينما كان الرجال ذوو الحلل البيضاء يتجهون نحوها. ذكريات الطفولة في

البداية، سريعًا ما محيت بذكريات العنف الذي تعرضت له أثناء حياتها المهنية في مختلف بقاع الأرض. ثم ذكرى الوجه المبتسم، المنافق، الفرنسي، لكنه جذاب... بعض الأيام القليلة السعيدة التي قضتها معه، ثم ذلك الانفصال المفاجئ وغير المتوقع. بعد قليل، تبدلت ملامح الفرنسي.

إنها الآن ملامح "أرنو دي مونبريان" الذي كان مختلفًا عن الآخرين. مع "أرنو دي مونبريان" لم يحدث شيء تقريبا، فقط مشاعر قوية تسري بينهما خلال الساعات القليلة التي قضياها معًا. "أرنو"... أين هو؟ كل شيء يحدث بسرعة حتى إنني لم أجد وقتًا لأفكر فيه كما أريد. لكنني أفتقده الآن، لا شك، أكثر من أي وقت آخر"...

شردت في هذا الشعور ثم ما لبثت أن عادت إلى واقعها عند اقتراب "الإنوانيون" الذين التفوا حولها. فجأة، توقفوا عن الغناء، وساد الصمت البراح الذي كان مثيرًا للقلق من الغناء ذاته. سكون الرجال ذوي الحلل البيضاء امتد لدقيقتين مرًا على المرأة كأنهما قرنان من الزمان. هبت على المكان ريح خفيفة أطاحت بملابس الرجال يمينًا ويسارًا، وظلت وجوههم مختفية وراء الأقنعة السوداء. دارت "أورينا" حول نفسها دورة كاملة، وتأكدت أن كل المشاركين في الاحتفال ساكنو الحركة. "ماذا ينتظرون؟ ماذا سوف يحدث حاليا"؟. كان الصمت سائدًا حتى الأصوات الليلية للغابة، أصوات الحيوانات أو صراخ الطيور، كل ذلك لم يعد له وجود، كما لو كانت الطبيعة نفسها تبدي خوفها من وجود هؤلاء الضيوف أمام المرأة، وعلى بعد ثلاثين مترًا تقريبًا وفي بداية الطريق الذي سبق أن مشت فيه قبل أن

تصل إلى وسط البراح ظهرت حركة غير عادية وسط صفوف المشاركين الذين كانوا يبتعدون. الزعيم والكاهن الكبير... شبح يرتدي رداء أبيض ذا قلنسوة من نفس اللون يتجه نحو "أورينا" التي عرفت في خطواته البطيئة وحركته المميزة وحلته المميزة مكانته بين أعضاء جماعته. سرت همسات من الاحترام، وتحيات وسط جموع الحاضرين لهذا القادم.

مسك هذا الكاهن بآلة في يده، كان يبلغ طولها ما يقرب من ثلاثين سنتيمترًا. الساطور...

سرت رعشة قوية في ظهر "أورينا". هذه المرة، يبدو أنها لن تفلت من مصيرها: الموت.. ستقتل على أيدي مشعوذين في براح بمنطقة "بريتاني"..

بابتهاج وتهليل، يبدو لمشاهد خارجي عن الموقف كشيء مثير للسخرية والضحك. بدأ شبح الكاهن ذي الحلة البيضاء الاقتراب من المرأة التي مازالت ساكنة بالقرب من الحجارة المتراكمة. كما لو كانت تتمنى أمنية أخيرة في حياتها. رفعت "أورينا" عينيها إلى السماء كمن تدعو بسوء الطقس وتغير الأحوال الجوية: السحب التي كانت تتحرك نحو القمر وتحجب ضوءه عند وصول سفينة الصيد إلى الجزيرة بدأت تنقشع فيظهر ضوء القمر من جديد ينير المكان. "مع ذلك لن ينصلح حال الجو ويتحسن، ذلك على غير طبيعة جو "بريتاني".. كان كاهن الحفل لا يبعد سوى متر واحد تقريبا عن المرأة. ترك الرجل المرأة جانبًا واقترب من أحد أحجار الدلمن المكونة للمنضدة الحجرية وصعد عليه بحيوية. فما لبث أن وصل إلى البلاط الفسيح الذي يرتفع عن الأرض بنحو مترين أو ثلاثة أمتار. بدون انتظار، تقدم

إليها بدوره أحد المشاركين في الاحتفال وأمرها قائلا:

– اصعدي!

عرفت "أورينا" من نبرة صوته شخصيته. كان الرجل الذي أعطى لها الرداء الأحمر على ظهر السفينة "چان". برفق دفع المرأة لتصعد بجانب الكاهن. عندما وصلا إلى ذلك البلاط الحجري، وأصبح الثلاثة في وسط ذلك المكان الفسيح، علت صرخة من الفرحة والنشوة من جموع الحاضرين. أظهر الكاهن سلاحه لتعلو صرخات الجمع مرة ثانية أعلى وأعلى إلى أن أشار إليهم الرجل الثاني، فساد الصمت المكان. من موقعها العالي الذي يكشف المكان جيداً وبشكل غريزي نظرت "أورينا" إلى مجاهل المكان آملة في ظهور نجدة تنقذها مما هي فيه. "أرنو"... إنه الوقت المناسب. أخشى أن أفقد شجاعتي، قريبا"... لكن المرأة لم تر في الظلام سوى الأشباح مرتدية الملابس البيضاء والتي تبعد مسافة عن المكان الذي سوف يشهد تقديم القربان البشري. همس الرجل الثاني قائلا:

– اجثي على ركبتيك.

كان الأمر شاقا على "أورينا"، لم تشعر طيلة حياتها بمثل هذه المهانة، لم تكن تستطيع أن تحتمل مثل تلك الأحوال، لم تجد سوى الصلاة كمهرب. "يا ربي، أتوسل إليك، أنقذني مما يحدث"...

في سواد الليل، صوت زوبعة وضح في الأفق، كما لو كانت استجابة لهذا النداء الطبيعي. غناء جديد بدأ يتردد. الكاهن الكبير الذي بدأ ينهض بعدما كان جاثيا على ركبتيه ارتفع صوته بالغناء. "إنه هو، أعرف هذه النبرة، هو "آرون لي جارن" تاجر "كيبيرون". كان رأي "أرنو" صحيحًا. إنه كبير هؤلاء المجانين".

صوت صاعقة علا في الأفق وارتفع صوت الغناء مرة أخرى. الريح العاصفة التي هبت منذ فترة زادت سرعتها مثيرة للرمال والأتربة. فكرت "أورينا": "سوف تمطر. لو أن العاصفة تستطيع أن تطرد هذا الحلم المخيف"... عمليًا بدأت بعض القطرات تهدئ العاصفة. هذه العلامات الأولى للأمطار كان الجمع يتجاوب معها، ويعلو صوت الغناء، ويزداد شيئًا فشيئًا. "تور" إله الصواعق والعواصف، هل هو غاضب؟ ربما يعلن عن عدم رضاه"..

كلما اشتدت الريح والأمطار كلما علا صوت صلاة الكاهن معتقدا أن كلماته سوف توقف الأمطار، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث. همس الرجل بكلمات في أذن مساعده. كانت كلماته غير مفهومة، لكن على الرغم من ذلك استطاعت "أورينا" أن تتأكد من أن صوت الرجل هو تاجر "كيبيرون" "آرون لي جارن". قالت لنفسها: "إنه تاجر التحف. إنني متأكدة، هو الذي يملك هذه النبرة المميزة"... في الظاهر، تبادل الرجلان بعض العبارات. كان واضحا عدم اتفاقهما في الرأي. في لحظة من المحادثة، أشار رجل سفينة الصيد بيده لـ"أورينا" في إشارة لم تفهم معناها. فكرت: "إنهم يتناقشون حول مصيري.

إذا كنت أفهم جيدًا، فبائع التحف يريد الاحتفاظ بي بينما الآخر يحاول تركي"...

فجأة عادت لـ"أورينا" شجاعتها شاعرة بما فعلته العاصفة في صفوف "الإنوانيون". فضلا عن ذلك كان واضحا أن الكاهن الكبير لم يكن موافقًا على أن هذه العاصفة هي علامة طبيعية لوقف هذا الاحتفال. في النهاية، وبعد لحظات من التفكير والتأمل، قال الكاهن بعض الكلمات لتابعه ثم ما لبث أن هبط

من المذبح. عندما وصل إلى الأرض، سار في الطريق الذي يؤدي إلى البراح يتبعه المشاركون في الاحتفال. ظلت المرأة بمفردها فوق ذلك المسرح بصحبة ذلك الرجل الذي كان على السفينة والذي كان واضحًا عليه عدم رغبته في تركها. سألته بلهفة:

– ماذا سوف يحدث؟

أشار الرجل بأصابعه إلى السماء الداكنة المليئة بالسحب والتي مازالت تُغرق الجزيرة بمياهها. قال:

– العاصفة. "تور" يعلن عن عدم موافقته.

– علام؟ الحكم بإعدامي؟

كان هذا السؤال الأخير مهمًا.

– نعم، إنه لا يريد موتك.

لم يكن ذلك محتاجًا لوضوح أكثر من ذلك، المرأة التي مازالت جاثية على ركبتيها في هذا المذبح قد سُمع نداؤها، قد استجيب لصلاتها، والطبيعة هي ذلك المارد العملاق الذي أراد الله أن ينقذها بسببه. قالت للرجل:

– ماذا سوف تفعلون؟

– الرحيل. أنتظر حتى يستقل كل إخوتي السفينة، ثم أتبعهم.

– وأنا؟

هز الرجل كتفيه في حركة لا مبالاة ثم قال:

– أنت؟ أنت الآن حرة، طليقة، "تور" أراد ذلك.

"حرة! حرة!" رنت الكلمة بعمق على مسمع المرأة، وشعرت بقلبها يطير فرحًا.

كانت لا تصدق ما سمعته. الحرية تعني إمكانية رؤية "أرنو دي مونبريان" من جديد، أن تحكي له هذه المغامرة العجيبة، أن

تتابع التحقيق الذي بدأته عن "الإنوانيون". قال الرجل:

– أعتقد أنني يجب أن أرحل، إلى اللقاء...

نزلت من على المنصة العالية التي كانت بمثابة المذبح المقدس لـ"أورينا"، الضحية. أرادت الصحفية أن تلقي عليه ألف سؤال وسؤال، إنها الآن وبعد أن ضمنت حياتها، تستطيع معرفة أشياء أكثر تستفيد منها في مقالها الصحفي.

– انتظر! إنني أتبعك.

– لا داعي لذلك.

بخفة ورشاقة، قفزت "أورينا" إلى سطح الأرض. سقطت على قدميها على بعد سنتيمترات من الرجل. قالت:

– اتركني أسألك عدة أسئلة، هناك أشياء عديدة أود معرفتها...

لم تستطع "أورينا" أن تكمل جملتها. لم تستطع رؤية قبضة الرجل وهي تتجه إلى وجهها، لكنها شعرت على الأقل بقوة الصدمة قبل أن تغيب عن الوعي.

الفصل التاسع

برفق، كانت اليد تمر فوق وجه "أورينا". كانت المرأة لا تزال غائبة عن الوعي. لم تكن تدري بما يحدث حولها. شيئًا فشيئًا بدأت المرأة تجاهد لاستعادة وعيها. كان ذلك الصوت الذي يشجعها على الاستيقاظ عونًا لها كي تسترد وعيها:

– "أورينا"... "أورينا" افتحي عينيك!

سرت رعشة في جسدها من هبوب ريح باردة شعرت معها

بعدم راحة موضعها. حاولت أن تتحرك، كان صوت أنينها مسموعًا عندما سمعت نفس الصوت يقول لها:

– "أورينا". هل تشعرين بالم؟ سأحضر لك طبيبًا.. يدان قويتان رفعتاها من على الأرض، وضمتاها إلى صدر الرجل الذي حملها وهي لا تعرف إلى أين.

كم من الوقت انقضى على هذا الوضع، لا تدري. الرجل يحملها بين ذراعيه ويعدو في سباق مع الزمن. تشعر بأنفاس الرجل قريبة منها ومختلطة برائحة البحر وأشجار الغابة. ثم ما لبثت أن شعرت بوقع صدمة خفيفة. كانت الآن ملقاة على شيء ناعم الملمس ذي حركة خفيفة تحولت إلى سريعة. "سفينة الصيد "چان". هؤلاء الرجال في حفل السلتيين"...

بهدوء، بدأت تتذكر كل شيء، وهي الآن تجهل مكان وجودها، بدأت تشعر بالقلق، وحاولت جاهدة أن تفتح عينيها. شعرت بثقل جفنيها، وأنها كما لو كانت ملتصقة ببعضها البعض، شعرها أيضا – على غير طبيعته – مختلط بالرمال والماء.

– "أورينا"، افتحي عينيك! بم تشعرين؟ ردي عليّ...

"هذا الصوت... "أرنو دي مونبريان".

كان تحققها صوت محدثها صعبًا بسبب تعبها، لكن عندما تأكدت من مطابقة الصوت، اجتهدت بصعوبة، واستطاعت أخيرًا أن تفتح عينيها. لم تر شيئًا في البداية، لم تستطع في البداية أن تتحقق من الملامح، ثم بهدوء بدأت تتعرف إلى مرافقها. إنه بالفعل "أرنو دي مونبريان" الذي كانت ملامحه واضحًا عليها الهم.

– أنت.. أنت هنا!

مدت يديها إليه، أمسكهما برفق وقبلهما. كان المركب "آريان" ينساب برفق على سطح الماء. شعرت المرأة بهدوء نفسي لم تشعر به منذ وقت طويل مضى، منذ أن كانا معا يتناولان العشاء قبل المغامرة التي قاما بها في منطقة الأدغال.

شعرت المرأة بدفء القرب من شخص تثق به، وطمأنينة سريعة خدرت مشاعرها فما لبثت أن نامت على يديه من فرط إرهاقها وتعبها. ظل "أرنو" بجانبها فترة من الوقت حتى اطمأن إلى أنها نامت في هدوء. وضع فوقها غطاء. كان – تقريبا – الليل قد أوشك أن ينتهي، غفل "أرنو" لعدة ساعات قبل أن يستيقظ على ضوء الشمس القوي. نظر أمامه، كانت "أورينا" لا تزال نائمة وظل فترة من الوقت متأملا طفولة وجهها، وجمال ملامحها قبل أن يداعب شعرها. استيقظت "أورينا" على يده وهي تداعب خصلات شعرها. همست له قائلة:

– إذن أنت هنا حقيقة، لم أكن أحلم!.

رد عليها قائلا:

– نعم، مازلت بجانبك..

تنبهت "أورينا" قليلا. كان واضحا أنها قد أخذت قسطًا وفيرًا من الراحة. قالت:

– يجب أن نتحدث يا "أرنو". كيف أنت هنا؟ كيف اكتشفت مكاني؟

جلس "أرنو" على الكرسي الصغير بجانب سرير "أورينا". بدأ يحكي لها قصته قائلا:

– كنت أكاد أموت من القلق. بحثت عنك في كل مكان بالمدينة وضواحيها، ثم...

اندهشت المرأة من قصة "أرنو" وكيف بدأها باللحظة التي بحث فيها عنها.

– لكن، قبلا عندما وقعنا معًا في الشباك، ماذا حدث لك؟

ابتسم قائلا:

– تركوني سريعًا.

– كيف ذلك؟ كان لابد أنهم يشكون في أنك سوف تبدأ في البحث عني بطريقة أو بأخرى، لابد أنك ستجد دليلا ما يدلك على مكاني. ذلك لا يصدق، أكيد أنهم مجانين، لكنهم ليسوا حمقى هكذا.

– من المؤكد بأن الاعتقاد بـ... إذن، ثم بعد ذلك...

كان إصرار "أرنو" على تغيير الموضوع مثيرًا لدهشة "أورينا". ليس لأنها لا تثق به لكن إطلاق حريته بهذا الشكل من قبل "الإنوانيون" يعتبر عملاً غير عادي.

– ... واصلت بحثي. بحثت في كل الاتجاهات، ثم علمت بالمصادفة أثناء حديثي مع أحد البحارة الموجودين بالميناء أن ثلاثة قوارب صيد كبيرة قد تم تأجيرها هذا المساء لتحمل مئات من الأشخاص.

قوراب صيد.. أنا نفسي قد جئت إلى هذا المكان على متن أحدها. "لا چان"، على ما أتذكر.

لكن "أرنو" لم يعلق على تلك الملاحظة، وواصل حديثه مكملا قصته كما لو كان يريد أن ينتهي من حكاية حفظها ويريد تسميعها، قال:

– تابعت حديثي مع ذلك البحار حتى عرفت أن وجهة هذه القوارب هي جزيرة "أوديك". في منتصف ليلة أمس، تابعت

الخطوات العديدة التي قادتني إلى ذلك البراح حيث وجدتك غائبة عن الوعي.

انتبهت المرأة لأحد التفاصيل قائلة:

– سفن الصيد لم تكن موجودة؟ في أي ساعة وصلت إذن؟

كانت إجابة "أرنو" غير محددة وغير مقنعة. قال:

– لا أعرف بالتحديد، كما قلت لك وصلت في الليل، متأخرًا فيما أعتقد...

لم تستطع "أورينا" مجاراة "أرنو" في قصته، شيء ما صدمها في قصته، ربما سهولة ترك "الإنوانيون" له، كذلك سهولة اكتشافه لمكانها: "(بريتاني) منطقة كبيرة والجزر تنتشر بها في خليج "موربيون"، إذن"؟

"إذن "أرنو" يخفي عليَّ شيئًا ما، وسوف أعرف ما هو".

وضح تفكير "أورينا" على وجهها وملامحها بشكل لم يخف على "أرنو"، دفعه ذلك ليقول لها:

– ماذا هناك إذن؟ أخبريني بما تفكرين فيه.

– أريد العودة إلى "كيبيرون"، كم من الوقت يلزمنا لذلك؟

قام "أرنو" من على كرسيه، ومد يده إلى ثوب يرتديه، أثار لون الثوب الأحمر الداكن فزع "أورينا" الذي ذكرها بذلك الرداء الذي كانت ترتديه بالأمس. "على ما أتذكر، فإنني لم أخلع هذا الثوب، يجب أن يكون على الأرض"... لكنها لاحظت عدم وجود الثوب الأحمر الشهير والذي يمثل زي الضحية لتلك العبادة البربرية.

لم تنقض سوى عدة ثوان قبل أن يعود "أرنو" إل الكبينة قائلا:

– نستطيع أن نرحل الآن. من جهة؛ لأن المد عال بما يكفي للتحرك، ومن جهة أخرى لأن الريح سوف تساعدنا على بلوغ

هدفنا تقريبا خلال ساعتين.

سرعان ما دخل الرجل إلى صالة حمام ليأخذ دشًا. كان تجهيز المركب "آريان" كاملاً. لحظات وخرج "أرنو" مرتديًا زيه الذي اعتادت المرأة أن تراه به: البنطلون الچينز والبلوڤر الأزرق. قال لـ"أورينا":

– خذي حمامًا وأنا في نفس الوقت ساعد المركب لنغادر الميناء. ثم الحقي بي في مقدمة القارب لنتناول الإفطار. لابد أن تكوني جائعة، فأنت لم تأكلي شيئًا منذ وقت طويل...

"كيف عرف أنني لم أتناول طعامًا منذ فترة طويلة؟ لم نتحدث في ذلك"!

قال الرجل كما لوكان يريد أن يحد من اضطراب المرأة:

– ثم لابد أنك بعد حادثة الأمس تريدين لبس ملابس أخرى. سوف أعيرك بنطلونا من چينز و"تي – شيرت" سامحيني لخلو دولابي من ملابس قيمة.

"احتفال الأمس؟ كيف يمكن له أن يذكره؟ إنه لم يكن موجودًا، وأنا لم أذكر شيئًا. إنني حتى دهشت لأنه لم يطرح عليَّ أي سؤال بخصوص ذلك. في الواقع، فإن هذا الأمر بدون توضيح، يظل غامضًا".

قررت أن تنفرد بنفسها قليلا حتى تستطيع أن تفكر بطريقة أفضل. قررت أن تذهب إلى الحجرة المجاورة لتلك التي كانت نائمة فيها، كانت حجرة صغيرة بها مكتب صغير وحمام.

كان تجهيز القارب يبدو رائعًا بالنسبة لمساحته الصغيرة. أثناء ذهابها، لاحظت "أورينا" الكتب الموجودة على المكتب: ثلاثة يتحدثون عن الميثولوجية السلتية والجرمانية، رمز نفس الآلهة

يوجد في الأسطورتين لكن بأسماء مختلفة، وكثير من الوقائع متشابهة.

فكرت "أورينا": "هذا فضلا عن أن "تور" الإله الشهير للميثولوجية السلتية، ليس سوى رمز چرماني انتقل إلى منطقة الغاليين حيث كان معروفا من قبل تحت اسم آخر. إن هؤلاء "الإنوانيون" لم يخترعوا شيئًا جديدًا".

جذب انتباه "أورينا" قصاصة ورق مقطوعة من صحيفة. إنه أحد المقالات التي كتبتها في صحيفتها. "إنه يقرأ كتاباتي الآن، ذلك ما يروق لي"...

ابتهجت "أورينا" جدًا كما يحدث لها في كل مرة تكتشف موضوعًا يمس شخصها ويربطها بـ"أرنو". إنها سعيدة لأن الرجل يهتم بها هذا الاهتمام. على الرغم من بعض النقاط الغامضة في كلام الرجل – منذ قليل – معها، إلا أنها لم تنس أنه أصبح حبيبها. تركت بحيوية المكتب ثم دخلت إلى الحمام. كان وقع الماء على جسدها منعشًا. كانت تحتاج لمثل هذا الحمام حتى تستعيد نشاطها، وتنسى ما شاهدته من تعب وانفعالات. عندما أوشكت على الانتهاء من الحمام شعرت بحركة المركب "الآريان" يبحر في اتجاه "كيبيرون".

كما قال لها "أرنو" وجدت دولابًا به ملابس نظيفة، كان على الرف العلوي مجموعة من الـ"تي – شيرتات" موضوعة بشكل منظم – كلها من القطن الأبيض – وفي أسفل كان يوجد مجموعة من بنطلونات الچينز زرقاء اللون. مدت "أورينا" يدها لتأخذ أحد البنطلونات عندما لاحظت وجود ملابس ملفوفة في مؤخرة الدولاب، أحدها أبيض والآخر أحمر.. أحمر دموي.

مدت "أورينا يدها إلى هذين الثوبين وقد دهشت بهما، كانا من القطن، فردتهما وكما توقعت ودلتها حاستها السادسة على أن هناك شيئًا مهمًا. كان الثوبان يخصان طائفة "الإنوانيون" أحدهما أحمر الذي ارتدته، أما الآخر فإنه يخص أحد مريدي الطائفة. "من الذي جاء بهذه الملابس إلى هنا، في مؤخرة دولاب "أرنو"؟ إن أحدًا لا يجرؤ أن يستقل هذا المركب، فضلا عن أن يدخل ويتوغل في هذا المكان سوى "أرنو" ذاته".

كان ما تفكر فيه مفزعا. "أرنو"، "أرنو"! ذلك يبدو شيئًا غريبًا لكنه يفسر كل التفاصيل الغامضة المتعلقة بهذا الموضوع. ألهذا السبب تم تخذيرها في مكتب الشرطة حتى لا تذهب إلى "السوفيتيل" كي تستلم الأوراق التي بعثتها إليها "باتريس"؟ لهذا أيضا لم يتم أسر "أرنو" عندما وقعا معًا في فخ "الإنوانيون" بمنطقة الغابات. لهذا السبب أيضا فإنه يبدو على علم بكل التفاصيل التي وقعت للمرأة؛ لهذا أخيرًا فإنه قد استطاع أن يجدها بسهولة بعدما اعترض الإله "تور" على موتها. إذا كان هذا الاحتمال صحيحًا فمن الضروري أن تبحث عن المقالات التي أرسلتها لها "باتريس". إن بها الكثير الذي يمكن أن يفسر ذلك الغموض...

"إنه لجنون. "أرنو، "إنواني"... عندما أفكر أنني أحبه، يا لها من حماقة"!

ظلت "أورينا" فترة من الوقت قبل أن تلحق بمن ينتظرها على مقدمة المركب، ذلك الذي أصبحت تعرفه الآن أنه عدو لها. كان "أرنو" قد استطاع بمهارة حاذقة أن ينطلق بالمركب في اتجاه "كيبيرون" التي كانت تطل من بعيد في الأفق.. الرياح القوية ساعدت على سرعة سير المركب، والشمس الساطعة في السماء

الصافية بدون سحب. كان المنظر رائعًا يجعل من ذلك اليوم يوم إجازة رائعًا.

لكن.. في ذهن المرأة كان الشك قد زرع.. من يمكن أن ينفيه؟ بشكل رائع فإن "أرنو" كان قد قام بإعداد الإفطار المكون من الشاي والحليب والخبز الساخن مع الجبن، هذا فضلا عن القهوة الساخنة. انفعل "أرنو" بشكل ظاهر وهو يرى "أورينا" تخرج من الكبينة. قال:

- أنت.. أنت...

لم يكمل الرجل كلمته، وظهرت على شفتيه ابتسامة حزينة. ربما تذكر الماضي القريب؟

"انفعاله حقيقي، مع ذلك إذا كان افتراضي حقيقيًا فإنه يبدو مشاركًا في مقتل زوجته كما كان سيكون بالنسبة لي... إذن ماذا أصدق؟ مشاعري التي تدفعني إليه أو الشكوك الناتجة عن تصرفاته"؟

- إنك جميلة جدًا وتشبهينها.

هزت "أورينا" رأسها، ولم ترد بشيء. أردف قائلا:

- اعذريني لتذكري لها بصفة مستمرة، لكن لم تنم أي امرأة قط منذ رحيلها على متن "الآريان". لم تشاركني أي امرأة إفطاري ونحن نبحر.

سكت ووضح عليه أنه يبحث عن كلمات. كان رجلا ضعيفًا، هكذا شعرت "أورينا" في تلك اللحظة، أحيانا يبدو باردًا بدون انفعال ثم ما يلبث أن يثار وينفعل بذكرياته.

حاولت "أورينا" الخروج من تحليلها لشخصية "أرنو" في هذه اللحظة كي تستمتع بالجو الرائع والرحلة البحرية الهادئة. كان

"آريان" ينساب على سطح الماء تدفعه الرياح بقوة. جلست "أورينا" في مواجهة "أرنو" الذي شغّل البحار الآلي. ظل الشابان صامتين، كما لو كان "أرنو" يقرأ شكًا في عيني رفيقته. لم يستطع أن يقول شيئًا. "على الأقل هذه المرة لن يستطيع الاستغراق في ذكرياته... ربما في ندمه"! أما المرأة الصحفية فلم تستطع أن تلغي من عقلها الموضوع الرئيسي الذي كانت تفكر فيه، أينتمي "أرنو" إلى هذه الطائفة أم لا؟ هل هو ضحية لهم أم شريك معهم؟

وفي الحالة الثانية هل اشترك دون أن يقول كلمة واحدة في احتفال قتل المرأة؟ "إذا كانت هذه هي الحال فإنني لابد أن أخاف منه... رغم ذلك، إلا أنني مازلت أثق به، أخيرا، الثقة ليست الكلمة الصحيحة، إنني خائفة من أن أكتشف شيئًا ما يغير فكرتي عنه"... تنهدت ثم واصلت تفكيرها. كان البحار يركز نظره في تلك اللحظات على الجانب البريتاني الذي يقترب. "أرنو"؟ لماذا يكون الحب دائما صعبًا هكذا؟ إنني خائفة أن أحيا من جديد في تجربة قاسية مثل تلك التي عشتها مع الفرنسي، لقد أحببت نصابًا ولا أريد أن أجرب مرة أخرى مع قاتل دموي ينتمي لعبادة وطائفة عجيبة"...

"أرنو دي مونبريان" أزاح نظره عن البحر في الوقت الحالي، ونظر إليها بتركيز كما لو كان يقرأ أفكارها، قال:

- تشكين فيّ، أليس كذلك؟

أتلعب لعبة المصارحة أم تنفي تماما ما تفكر فيه؟ لم تتردد "أورينا" سوى لحظة قصيرة قبل أن تستسلم للاختيار الأول. قالت:

- قليلا، اعترف...

- تجدين أن الأمر غريب في وصولي هكذا إلى جزيرة

"أوديك" بعد الاحتفال.

هزت "أورينا" رأسها مؤكدة، أضاف الرجل:

- كذلك قالت ترين أن ترك "الإنوانيون" لي أمر غريب.

قالت: نعم.

صمت الرجل لحظة قبل أن يستطرد قائلا:

- سألت نفسي هذه الأسئلة أيضا. من المؤكد أنني لم أحصل على هذه المعلومات بالمصادفة، كما أن بحار الميناء كان مرشدا لأولئك الذين قاموا باختطافك، لكن هل يمكن أن نغفل عن مثل هذه المعلومة؟ لم يكن لي الحق، أليس كذلك؟

لم تستطع المرأة الرد، نفي "أرنو" للوقائع ومحاولة عرض أسبابه ومناقشة التفاصيل التي تدفعها إلى الشك فيه، كانت كلها في صالحه، لكن ظل هناك سؤال يلح عليها. قالت:

- والأردية التي في خزانة ملابسك؟

في اللحظة التي قالت فيها "أورينا" هذا السؤال وضح عليه الاضطراب، احمر وجهه وحاول التظاهر بالعطس ليداري خجله، ثم حاول شرح الموقف قائلا: هل وجدتها؟ حاولت أن أخبئها منك حتى لا يثير منظرها اضطرابك ومخاوفك مرة أخرى..

لم تستطع "أورينا" تقبل مثل تلك العبارات والردود التي لا تتناسب مع المخاطر التي كانت تحيط بها، قالت:

- هل تعاملني كطفلة؟

- أرجو المعذرة.

ساد الصمت من جديد. لم يجدا الكلمات المناسبة لمواصلة الحديث بينهما، وقد فصل بينهما هذان الثوبان من القطن الأحمر والأبيض...

نهض "أرنو" محاولا كسر حاجز الصمت الذي يعكر صفو الجو بينهما، عزل البحار الأتوماتيكي قائلا:

– سوف نصل في وقت قصير. يمكنك أن تساعديني في أعمال الملاحة. سننزل الشراع خلال دقيقتين. بمهارة قائد بحري متمرس، راقبت "أورينا" البحار الشاب بإعجاب وهو يرسو بالقارب في مرسى مدينة "كيبيرون" في مكانه المعتاد. برشاقة قفزت الفتاة إلى سطح رصيف الميناء وحيت "أرنو" بيدها.

قال لها بنبرة قلقة:

– أعتقد أننا سنرى بعضنا البعض عما قريب؟

ردت عليه قائلة: بالتأكيد.

الفصل العاشر

كانت أولى خطوات "أورينا" بعد نزولها من المركب هي التوجه نحو الفندق الذي تنزل فيه لكنها وهي في الطريق غيرت رأيها، وفكرت في أنها لابد أن تستفيد من كل دقيقة، وأن الحظ كان حليفها ليلة أمس، وأنه ربما لن يصادفها مثل ذلك بعد الآن، فلابد أن تخطط جيدًا لكل خطوة تخطوها في طريقها لكشف الحقيقة. عندما مرت أمام الفندق، استخدمت دراجتها وانطلقت بأقصى سرعة لها في اتجاه "السوفيتيل". المعلومات التي أرسلتها "باتريس" لها أمس والمتعلقة بموضوع "أرنو دي مونبريان" لابد أن تكون في انتظارها منذ الأمس. دخلت الفندق وتوجهت إلى موظف الاستقبال بابتسامة قائلة:

– إنني "أورينا بالكسيو". أرسلت إليكم بعض الوثائق تخصني.

حيا الرجل الصحفية بأدب جم، كان يعرف من هي، وقال لها:

– عمت صباحًا يا سيدتي، سوف أرى...

ابتعد قليلا، بحث في أحد الصناديق الخاصة بالبريد، ثم لم يجد شيئًا. رفع سماعة الهاتف واتصل بشخص ما. قال قبل أن يعود إلى "أورينا" التي كانت تنتظره بفارغ الصبر:

– آه. حسنا جدًا!

– كما طلبت منا في التليفون، أعطينا الوثائق إلى الشخص الذي أرسلته. كان الخبر كوقع الصاعقة على "أورينا" التي اندهشت قائلة:

– أنا أرسلت إليكم شخصًا ما؟ لكن لا، لم يحدث قط...

أثناء الحديث مع موظف الاستقبال وإصراره على موقفه، لم تصر "أورينا" كثيرًا على موقفها، من هو ذلك الشخص؟ إنه بلا شك يعرف أهمية هذه الأوراق وأنها تخص "أرنو دي مونبريان"، فلابد أن بها من المعلومات الخطيرة التي تهدد شخصًا ما، لكن من هذا الشخص؟ ولماذا لا يريد أن تعرف هذه المعلومات؟ فكرت المرأة: "فقط "أرنو" هو الذي يمكن أن يعرف ذلك والأمر يخصه.. بدون شك عرف مقصدي وأنا أسأل موظف فندقيّ أم أن هذا الرجل العجوز تنصت على مكالمتي وأخبر "أرنو"؟

– حسنا في هذه الحالة أريد الاتصال بـ"باريس"...

قالت المرأة ذلك لموظف الاستقبال مبتسمة. سريعًا ما استطاع الموظف أن يتصل برقم هاتف الجريدة التي تعمل بها "أورينا"، ثم لحظات وكانت "باتريس" تحادث "أورينا" التي بادرتها بقولها:

– إذا عرفت ما حدث لي! سأوفيك بأجمل مقال في حياتي، وأكثرها توثيقًا كذلك!

– هل قرأت ما أرسلته إليك بخصوص "أرنو"؟ إنه يثير الدهشة.

فكرت "أورينا" قائلة: في نفسها: "ها نحن هنا، مدهش... لهذا السبب فإن هذه الأوراق قد اختفت، إذن كان "أرنو"؟ "أرنو"... إنني أحبه، ومن لحظة إلى أخرى أكتشف نفاقه.

– لن أستطيع أن أحكي لك كل شيء الآن، لكن باختصار لم أقرأ هذه الأوراق، هل يمكن أن تعطيني ملخصاً عنها؟

صمتت "باتريس" لحظة سمعت خلالها صوت أوراق يعاد ترتيبها ثم بدأت "باتريس" تقول:

– معي مقتطفات عديدة من الصحف تخبر... كيف أقول ذلك... تتحدث عن المشاكل التي كانت بين الزوجين "مونبريان".

– مشاكل زوجية؟ أنا كنت أعتقد أنهما سعيدان...

"إن ذلك لا يتناسب مع ما قاله "أرنو" بخصوص هذا الموضوع بالتحديد. إنه يكذب"...

تابعت "باتريس" قائلة:

– ثم بعد، معي مقالات أخرى تتحدث عن وفاة "آريان دي مونبريان".

– ذلك ما يهمني، أسمعك.

– وفاة غامضة على أرض "بريتاني"... ذلك مانشيت "فرانس سوار" باختصار وجدوا "آريان" مقتولة بآلة حادة.

فكرت "أورينا": "الساطور، السكين الشهير لكاهن الاحتفال"...

– هل تذكر طائفة سلتية أو قتلاً متعمداً؟ إن ذلك أهم ما في الأمر...

– لا ليس حقيقياً، فقط ما تذكر هي جريمة القتل. إن عائلة

"مونبريان" معروفة!

– ونتائج التحقيقات؟

جمعت "باتريس" المقالات الصحفية الموجودة على مكتبها قبل أن تقول بعد لحظات:

– ليس الأمر يستحق العناء. ما نعرفه فقط هو أن التحقيق لم يسفر عن شيء ثم ما لبث أن حفظ الموضوع، ليس هناك أي إشارة لما تقولين...

– هل هذا كل ما في الأمر؟

– نعم.. تقريبا، هل ترغبين في أن أرسل إليك مرة أخرى نسخة من هذه الأوراق؟ سيكون ذلك سريعاً...

– أشكرك، أعتقد أنني لن أتأخر في الرجوع، كذلك ليس فيها ما يلفت الانتباه.

أغلقت "أورينا" الخط وهي مندهشة من قلة المعلومات الموجودة في المقالات الصحفية. لكن تذكرت "أرنو" فجأة وقالت لنفسها: "إذن لماذا حاول "أرنو" أن يحذرني في البداية حتى لا أعرف فيما بعد تفاصيل هذه المقالات..؟ ذلك "غير مفهوم"...

قفزت إلى ذهنها فكرة عجيبة، لكنها لم تكن قط أغرب مما عرفته وسمعته حتى الآن، فكرة يمكن أن تفسر كل شيء، تفسر وجود "أرنو" المثير للشبهة في جزيرة "أوديك" وحتى عثوره عليها بمثل هذه السهولة التي قصها عليها. كذلك وجود الثوبين في خزانة ملابسه. فكرت: "ذلك سيكون شيئاً لا يصدق، "أرنو" ضحية "الإنوانيين" وشريكهم في نفس الوقت. لكن إن كان ذلك حقيقياً فإنه قد لعب معي لعبة قذرة جداً، حاول أن يستخدمني. لكن في هذه الحالة، لماذا استقبلني في هذه الليلة"؟

وضح على وجه المرأة الهم من تلك الافتراضات التي يفكر فيها عقلها والتي لم تكن حتى الآن سوى افتراضات، لكنها كانت جديرة بالبحث والتحري لأنها يمكن أن تزيل كل الغموض المتعلق بالرجل. تركت "أورينا" "السوفيتيل" واتجهت إلى فندقها. كانت تتمنى أن تأخذ حماماً وتخلع هذه الملابس الفضفاضة والتي تخص "أرنو" وترتدي أخرى أكثر ملاءمة لها. فضلا عن ذلك فإن الهدف الحقيقي لعودتها، ذلك الحمام الدافئ الذي كان لها – مثل كثير من الناس – بمثابة قوة دافعة ومحفزة للعمل الفكري والنشاط.

ركنت دراجتها في مكانها المعتاد بجانب سور حائط الفندق. في طريقها لحجرتها سمعت موظف الفندق ينادي عليها:

– آنسة "بالكسيو"...

ترددت المرأة في الرد. بالنسبة لها، فالرجل استمع لمكالمتها التليفونية وخانها، لكن لحساب من؟ "الإنوانيون" أو "أرنو"؟ إن هذا الأمر يظل غير واضح تماماً. ردت:

– نعم.

كان يبدو على الرجل السعادة. تذكرت "أورينا" أن الرجل لا يخفى عليه شيء في المدينة. قال:

– هل تعرفين آخر الأخبار؟

"إذا كان ذلك يتعلق بالاحتفال السلتي الذي أقيم أمس فنعم، لكن يدهشني أن يتكلم معي بمثل هذه الصراحة في موضوع كان ربما سيكلفني حياتي"...

– لا، إنني أسمعك...

– "آرون لي جارن" مات...

هذا الخبر الماساوي، مهما كانت شخصية "آرون" أو بائع

التحف، تم إبلاغه بابتسامة عريضة كما لو كان موظف الفندق سعيداً بموت الرجل.

– كيف حدث هذ؟

– في منطقة الصخور... سقط من أعلى كتلة صخرية مرتفعة، شيء لا يُصدق.. أليس كذلك؟

هذا السؤال الآخر طرح بأسلوب لا يمكن معه الرد بالنفي. كانت القصة تبدو غريبة بالنسبة للرجل، لكن ألم يكن أسلوبه هو أيضا عجيباً في طرح السؤال؟ سألته "أورينا" بسذاجة:

– حادثة؟

رفع الرجل كتفه في إشارة كما لو كان سمع هراء ثم قال:

– أنت تعرفين الشخصية الحقيقية لذلك الرجل، أليس كذلك؟

– أعتقد أنه...

فكرت المرأة قبل أن تجيب: "ماذا يعرف هذا الرجل؟ أشياء كثيرة بلا شك، لكن في أي فريق هو"؟. همس إليها الرجل قائلا:

– إنه زعيم طائفة "الإنوانيون".

قفزت المرأة من مكانها. إن هذا الاعتراف الصريح بعد وفاة الرجل يدل على أن جوهر وشكل الأحداث مختلف بهذا الحدث. حتى أمس لم يذكر هذا العجوز الماكر شيئا عن ماهية البائع.

– أعتقد أن السيد "مونبريان" يريد رؤيتك يا آنستي. لا يجب محاسبته على بعض المواقف. كل شيء يمكن أن يكون واضحاً...

هكذا فإن الرجل أيضا على دراية بالشكوك التي تساور المرأة تجاه بحار "آريان"...

– يجب أن نتحدث طويلا يا سيدي...

انتبه الرجل لكلمات الصحفية. فجأة ظهر على وجهه الخوف من الحديث الذي تكلم به. تلعثم قائلا:

– أنا، إنني فقط رجل بسيط، أحاول فقط المساعدة...

– مساعدة من؟ "لي جارن"، أم "مونبريان" أم أنا...

لم يرد الرجل. تلفظ ببعض الجمل غير المفهومة، وترك العنان لساقيه ليختفي عن أنظار المرأة التي تركها بمفردها وسط بهو الفندق، وهي تشعر بالحيرة والاستغراب أكثر مما كان عليه وقت دخولها. "كل مرة أعتقد أنني اقتربت من حل اللغز تحدث أشياء لا يمكن فهمها، وتزيد الموقف تعقيداً. ماذا يعني موت التاجر؟ ولماذا تلك الحادثة في اليوم التالي مباشرة للاحتفال الذي أقيم بجزيرة "أوديك"؟

تركت المرأة الفندق في إثر العجوز الماكر، لكن الرجل كان قد ابتعد في اتجاه وسط المدينة، ترددت في ملاحقته... "لا، لا يهم في الوقت الحالي. أعتقد أنه لن يضيف إليّ شيئاً، إنه خائف"...

بشكل آلي اتجهت "أورينا" نحو الميناء وقد نسيت رغبتها في أن تأخذ حماماً. كان باب محل التحف والهدايا مغلقاً كما كان الوضع عند وصولها على متن "آريان" منذ ما يقرب من نصف الساعة. لكن القارب الأحمر كان قد اختفى.

"أرنو".. قـــد رحل.. لكن إلى أين هكذا؟ لماذا هذه السباقات على الأطلنطي؟ أفهم أنه يمكن أن يكون محباً للبحر، الذي أحبه أنا أيضا، لكن ليقضي اليوم كله في الماء، لابد أن هناك شيئاً خفياً"! اقتربت المرأة من الرصيف، وعند آخره استطاعت أن ترى الهيكل المعدني للمركب ذي الأشرعة البيض، وقد أخذ طريقه إلى أعلى البحر.

– الكابتن؟ لقد رحل هذا الصباح. قدم استقالته وذهب في نزهة إلى الخارج.

رجل الشرطة يتحدث إلى "أورينا" في المخفر عند سؤاله عن قائد الشرطة، كان الرجل يتحدث كما لوكان الشيء تافهاً.

قالت "أورينا" بإصرار:

– هل كان الأمر متوقعاً؟

هز الرجل كتفيه، ووضح عليه أنه كان سيقول شيئاً. قررت "أورينا" أن تستخدم كل حيلها الصحفية حتى تحصل على كل المعلومات المطلوبة. ابتسمت لرجل الشرطة ثم قالت:

– ليس معقولا أن يقدم رجل شرطة استقالته بهذه البساطة وفجأة، ألا تعتقد ذلك؟

لم يستطع سوى أن يؤيد هذا الرأي قائلا:

– بكل تأكيد.

– إذن.

بعدما وقع في الفخ الذي نصبته له الصحفية لم يجد الرجل أمامه مفرا سوى الحديث الذي لم يكن يود الكلام فيه. موقف غريب بالنسبة لرجل عسكري.

– لا يجب أن أقول لك عنه شيئا.

طمأنته "أورينا" قائلة:

– لن أنبس بكلمة لأحد، هذا وعد، لا أحد سيعرف...

"سوى المليونين من قراء جريدتي".

أضافت المرأة في نفسها. "لكن قسمها المزيف إنما يخدم قضية عادلة... الغاية تبرر الوسيلة"!

أردف الرجل قائلا:

– أعتقد أن قائد الشرطة قد سقط في قصة مبهمة.

قالت "أورينا" وهي تحاول استخدام الأسلوب الخاطئ لتعرف الصحيح:

– جريمة سرقة؟

– لا.. أكثر خطورة.. قصة موت.. تعرفين، في "بريتاني"، هناك أساطير خرافية قديمة والناس عادة توجه اهتماما لهذه القصص..

توقف الرجل فجأة عن الكلام وتفحص وجه "أورينا" عن قرب. وضح عليه الاضطراب والخوف عندما بدأ يفهم الشرك الذي وقع فيه، قال:

– لكن في الواقع، إنك أنت من جاء يبحث عنا، ليلة أول أمس؟ أنت فوجئت بأشخاص يمارسون طقوسهم الوثنية، أليس كذلك؟ من غير المفيد الإنكار. إن الرجل لم يكن ذكيا فإنه لم يكن ساذجًا إلى هذه الدرجة.

– نعم، كنت أنا.

صمت الرجل، ولم يدر أي موقف يتخذ تجاه المرأة، أخيرا قرر أن يكمل حكايته حتى النهاية. قال:

– أعتقد أن رحيل القائد كان مرتبطًا بهذه الوقائع الغريبة، حدث شيء غريب ومفاجئ ترك القائد على أثره الوظيفة.

فكرت المرأة لحظة: "آرون لي جارن" مات، رجل الشرطة هرب. إنني إذا استطعت أن أعرف من غادر "كيبيرون" اليوم فإنه يمكنني أن أدون قائمة بأسماء المشاركين في احتفال الأمس. لكن ما الذي أثار مخاوفهم؟ ليس عاصفة الأمس! غضب "تور" ليس له مثل هذه النتائج"...

– هل رئيسكم كان المسؤول عن التحقيق في مقتل "آريان دي مونبريان"؟

– نعم، هل تعتقدين أنت أيضا أن هذه الجريمة لها علاقة بطائفة السلتية؟ إن ذلك رأي "أرنو دي مونبريان" زوج القتيلة، أنت تعرفينه؟

"نعم أعرفه جيداً لدرجة لا تستطيع تخيلها، لكنني أتساءل إذا كانت هذه المعرفة لن تسبب لي متاعب"... ردت قائلة:

– نعم، أعرف هذا الرجل...

"شريك لهم أم لا؟ إنني حتى لا أعرف، ماذا أقول للشرطي؟ هل أنا أشك في "أرنو"؟ في أنه يبدو ضحية لهذه الطائفة؟ ليس عندي من اليقين ما يؤكد صحة افتراضاتي وحتى لو أملكها، هل ساقوم بذلك؟ بالتأكيد لا... إنني أحبه"!.

حيت المرأة رجل الشرطة. لم تشأ أن تحدثه عن احتفال الأمس والاحتفال الوثني الذي حضرته بالأمس. رأت أن تترك المكان، فلم يعد هناك جديد يمكنها الحصول عليه. شعرت "أورينا" – قليلا – بالضيق والإحباط، إذا كانت تمسك الآن بالخيوط الرئيسية لحل لغز "الإنوانيون" فإنه ينقصها "الدليل المادي الذي يؤيد صحة كلامها، وأكثر من ذلك تأكيد للدور الذي يلعبه "أرنو" في هذا اللغز. هذه النقطة الأخيرة هي التي تقلقها، ولن يهدأ لها بال قبل أن تفهم كل شيء وتزيح الغموض عن هذا اللغز. هناك احتمالان متعارضان وفقًا لمبدأ إدانة "أرنو". الأول أن يكون شريكا لـ"الإنوانيين"، وحتى إذا وصلنا لآخر الافتراضات فإنه يكون مشتركًا في قتل زوجته. بعض الأدلة تؤيد هذا الرأي، وما نشر بالصحف يدل على أن الأمور لم تكن

على ما يرام بين الزوجين على عكس ما يدعيه "أرنو".

لكن إذا كان الأمر يتعلق ببعض الحكايات غير الواقعية التي تلت الفضيحة والتي لخصتها لي "باتريس" في الهاتف فإن الأمر لا يستحق العناء"... الافتراض الثاني يذهب لبراءة "أرنو" براءة كاملة. لكن في مثل هذه الحالة، كيف يمكن أن نشرح المصادفات العديدة التي حدثت؟. لا، إنني أرغب في أن يبدو بعيداً عن كل هذه القصص، لكن الأحداث لا تجري بهذا الشكل. إن كثرة المصادفات لأمر غريب"...

لكن يظل هناك حل ثالث، مزيج من الأول والثاني وهو ما اكتشفته المرأة في ذلك الصباح إثر لحظة بصيرة، لكنها لا تريد أن تفكر في ذلك. "أرنو" في نفس الوقت ضحية وذلك بوفاة زوجته التي راحت ضحية لهذه الخرافة الوثنية، وذلك كما حكى لي، وبالتالي فإن كل قصص الصحف إنما تكون اختلاقات وهمية، وتكون وفاة "آريان" كما قص عليّ "أرنو"... ثم بعد، ومنذ هذه اللحظة فإنه أصبح شريكًا لهم لسبب لا أعرفه. قد يكون قد تصالح مع "الإنوانيين" وتمادى معهم حتى يشارك في عبادتهم. لا، إن ذلك غير حقيقي. مع ذلك كل الأحداث تتوافق مع هذا الافتراض. إنه لجنون، جنون حقا، لم أعد أستطيع التفكير"...

عند الميناء حيث وصلت المرأة، كان كل شيء يحدث وفقا للعادة. وقفت "أورينا" تتأمل طبيعة المكان، وتراقب سفن الصيد وهي ترسو في الميناء، ثم بيع السمك، كل شيء يبدو كما لو لم يحدث شيء في المدينة. عندما دخلت المقهى، حيث بدأ كل شيء معها حين قابلت "آرون لي جارن" لأول مرة. ساد المكان الصمت. قالت في نفسها: "لماذا سكتوا؟ هل يعرفون

قصة جزيرة "أوديك"؟ بالتأكيد. لأنه إذا كان موظف الفندق قد عرف كل شيء فلا شك أن الأمر قد انتشر. ربما من الأفضل أن أترك هذا المكان سريعًا؟ لا أعرف"... لكن القرار كان متأخرًا، إذ اقترب منها أحد الصيادين وناداها قائلا:

– حسنًا.. إنه أنت، الصحفية الباريسية؟

ترددت "أورينا" فيما يجب عليها أن تفعله، وقررت أن تتحفظ في ردودها، قالت:

– إنني حقيقة صحفية وباريسية، لكن لا أعرف إذا كنت الصحفية التي تبحث عنها.

لم يفهم الرجل الإشارة التي كانت في حديث المرأة، وأردف قائلا:

– بالتأكيد، أنت كنت في "أوديك" مساء أمس؟

– هل علمت بذلك؟ هل كنت هناك أيضا؟

كان أسلوب "أورينا" الهجومي مستفزا للرجل، ولم يرق له. شد بقبضة يده على مقبض الكرسي الواقف بجانبه، لكن المرأة احتفظت بهدوئها وثباتها، حتى إذا لم تكن قد استطاعت أن تفهم إلى أين الرجل يريد أن يذهب بها في حديثه، إلا أنها شعرت بالطمأنينة في هذا المقهى بين زبائن كثيرين، لن يجرؤ على فعل شيء. "على الأقل لن يكونوا كلهم شركاءه، ذلك لن يكون صحيحًا". تدخل أحد الصيادين ليحد من حدة الموقف بعد أن لزم الأول الصمت مندهشًا من أسلوب المرأة الهجومي، قال:

– يجب أن تفهمي أنهم استخدمو قاربه.

طبيعيًا إذا كان ذلك به أذى أو ضرر فإن له عواقبه. هذا طبيعي "كلهم يعرفون في هذه المدينة الصغيرة. إنهم متعاونون...

أخشى ألا أعرف الحقيقة مطلقًا في هذا الموضوع. كل واحد يحاول أن يحمي نفسه بحماية جاره ...

– ماذا تقصد بكلمة (هم)؟ من هؤلاء الناس؟ هل تعرف أسماءهم؟

لم يرد أحد من الصيادين. نظر الرجال لأسفل، فهمت "أورينا" أنها لن تحصل على شيء من هؤلاء الرجال الذين يعرفون جيداً معنى كلمة الوحدة، لكنها أصرت قائلة:

– إذن، من هم؟ إنكم خائفون، لكن لماذا؟ "آرون لي جارن" مات... لا يجب أن تخشوه منذ الآن...

تدخل صاحب المقهى الذي كان يستمع إلى الحديث صامتاً، ترك منضدته وتوجه إلى المرأة قائلا:

– أعتقد يا سيدتي أن هناك سوء فهم. إن هؤلاء الرجال يحسبون أنك واحدة أخرى... ثم إننا جميعا متأثرون بموت صديقنا بائع التحف.. أعتقد أن من الأفضل الآن ترك المكان...

"أُطرد هكذا مثل الخادمة غير المهذبة! لكني لا أستطيع عمل شيء، ثم إنه على حق، هناك شيء مزعج في هذا المكان".

دون أن تضيف أي كلمة خرجت المرأة، وبعد عدة خطوات في الميناء جذب انتباهها الأشرعة البيضاء. نظرت بدقة من على طرف الرصيف البحري. كان "آريان" يستعد لدخول الميناء.

الفصل الحادي عشر

"هذه المرة لابد أن ننظم جيداً المسألة ونناقشها حتى تنتهي".

هكذا فكرت "أورينا" وهي جالسة تراقب الأعمال التي يقوم

بها "أرنو" على متن مركبه ليرسو به في الميناء. بعدما انتهى من أعماله، دخل "أرنو" إلى كبينة المركب، وبعد لحظة خرج وعلى كتفه حقيبة.

– "أرنو"!

كان الرجل قد قفز على الرصيف عندما نادته المرأة. ظل ساكنًا لحظات، متحيراً من ذلك الصوت الذي يعرفه. عند افتراقهما في الصباح فإن شيئًا من الشك ضرب علاقتهما في الصميم مما جعل "أرنو" يفقد الأمل. نظر إليها متأملاً:

– أنت هنا...؟

ثم أمام نظرة المرأة الباردة، قال:

– حضرتك هنا؟ إنني سعيد بذلك..

ظلت "أورينا" باردة وساكنة كالتمثال، لم تبتسم. كان ذلك السلوك غير طبيعي ومتصنعًا، على الرغم من شكوكها حول سلوك "أرنو" إلا أنها كانت تحتفظ تجاهه بمشاعر حية حقيقية، وذلك لأن الحب لا عقل له ولا تفكير.

– أعتقد أنه يجب أن نتحدث يا "أرنو"، أعتقد أنه يجب عليَّ فهم كل شيء.

هز رأسه كمن يعتقد هو أيضا أن لحظة الشرح قد حانت. كان واضحا بكل تأكيد أن ذلك شاق جداً. عليه أن يشرح لـ"أورينا" الأسباب الحقيقية وراء سلوكه. لكن أمانة "أرنو" كانت كبيرة، وكان لا يحتمل الشك الذي يراه في عيني المرأة والذي يمكن أن يدمر حياتهما التي يود أن يبدأها معها، مهما كان الذي فعله، وهو سوف يخبر المرأة بكل شيء، إلا أنه ليس له طريق آخر. يجب أن تفهمه، وعندئذ فقط سيتضح كل شيء

أمامها، ويصفو الجو بينهما...

– تفضلي...

أمسك "أورينا" من يديها واتجه بها إلى المدينة. في الميناء، كانا تحت عشرات الأنظار الفضولية للبحارة. رأت المرأة بعدما حدث بينها وبين أحد البحارة مشادة كلامية في المقهى أنه من الأفضل أن يبتعدا قليلا. "ليس لأن هناك ما يمكن أن تخشاه ولكن من الأفضل عدم إثارة هؤلاء الناس"... هكذا، مشيا يداً في يد حتى ميدان "أوش" أكبر ميادين "كيبيرون" والذي يؤدي إلى الشاطئ. أحد المطاعم الكبيرة كان مفتوحا. جلس الشابان في شرفته التي كانت بمثابة مكان آمن لهما.

لم تكن "أورينا" متضايقة من لمس يد "أرنو" لها أثناء مشيهما، إلا أنها عندما اقتربت ساعة المواجهة سارعت ووضعت يديها في جيبيها، ثم نظرت إلى الرجل نظرة ثاقبة متسائلة. قالت:

– إذن؟

ابتسم "أرنو". كان يعرف أن ما سيقوله سيثير غضب صديقته. كان واثقًا بأن رهافة حس "أورينا" ستصطدم بوقائع قصته، إلا أنه كان واجبًا عليه أن يبدأ، لا يستطيع أن يفلت من هذا أيا كان الثمن الذي سيدفعه... رحيل "أورينا" عنه، على سبيل المثال. قال:

– لا، إنني أنا الذي أريد سماعك، وسوف أحدد بعض الوقائع.

– موافقة.

تشجعت المرأة ثم حاولت جاهدة أن تسوق عبارتها بشكل لائق لأن ما سوف تقوله كان شاقًا عليها، كما الحال مع "أرنو"، مع ذلك، لابد أن تتكلم، قالت:

– ما قصصته لي بالنسبة لـ"آريان" كان صحيحًا. كنت تحبها وما جذبها لـ"جارن" أدخلها في بعض الطقوس الوثنية..

– نعم.

– ما لا أفهمه هي محاولتك أن تبعدني عن الوثائق التي تخص موضوعكما والتي أرسلت لي من "باريس بالتلكس إلى "السوفيتيل".

احمر وجه "أرنو" خجلاً ثم قال:

– كنت أشك في محتوى هذه الأوراق. إن مقالات الصحف التي علقت على موضوعنا كانت تبالغ، وبها كثير من الكذب كما الحال مع جميع المشاهير.. أنت تعرفين المهنة.

– أفهم. كان "الإنوانيون" على دراية بالتأكيد؟

– نعم، لا شك.

عند هذه النقطة، تابعت "أورينا" بدقة قائلة:

– إذن "آريان" كانت ضحية هؤلاء المجانين. لأي سبب وكيف حدثت هذه الجريمة لا أدري في الوقت الحالي ولا تمثل لي هذه النقطة أي شيء. إلا أنك بعد مقتلها على يد "الإنوانيون" قررت الانتقام. ولكي تستطيع ذلك وتشفي رغبتك القوية في الانتقام قررت الانضمام لـ"الإنوانيين" حتى تستطيع أن تحقق هدفك...

أكد الرجل كلام المرأة، وصدق حدسها معجبًا بذكائها. قال:

– كان يجب عليَّ أن أعرفهم واحدًا واحدًا... وهو ما فعلته بعد ذلك. شك "لي جارن" فيَّ، لكن قائد الشرطة أعطاني ثقته، ولكي أثبت لهم حسن نيّتي طلب مني "الإنوانيون" أن آتي لهم بضحية جديدة تقدم كقربان للإله "تور" بعد احتفالات....

خفت نبرة صوت "أرنو" في الجملة الأخيرة. كان لديه العزيمة

والإصرار أن يخبر "أورينا" بكل شيء، لكن الدور الذي لعبه على المرأة يضعف عزيمته عند المواجهة. الغاية تبرر الوسيلة، لكن ما أقدم عليه كان خطراً جداً..

أكملت "أورينا" جملته بنبرة حادة:

– وهذه الضحية.. كانت أنا..

خفض "أرنو" رأسه رافضاً الإجابة، لكن صمته وخجله الواضح تحدثا بالنيابة عنه، ثم استطاع أن يستجمع شجاعته قائلا:

– نعم، أعترف بذلك، لقد استخدمتك. كانوا يطلبون مني دليلاً على ولائي، وأنت كنت هذ الدليل. ليلة ما ذهبنا إلى منطقة الأدغال كنت أنا الذي أعددت لك هذا الشرك. تفهمين إذن لماذا لم يتم أسري معك؟

– كنت أشك في ذلك. كان التفسير الوحيد المناسب لهذا اللغز. كنت شريكاً لهم. كل شيء وضح.

– لكن أقسم لك إنني كنت مجبراً على فعل ذلك. هذه اللعبة العنيفة كلفتني الكثير.

لم يكن أمامي فرصة للتراجع. كان يجب أن أعرف، وفي نفس الوقت، إنني أحبك...

– تحبني؟ لا تنطق بهذه الكلمة! إنها كلمة طاهرة حتى إنك تستطيع أن تستخدمها.

وضح على "أرنو" اليأس:

– هل تحكمين عليَّ هكذا... لك الحق، أفهم ذلك. لك الحق في كراهيتي..

همست "أورينا" بصوت غير مسموع:

– حتى ذلك لا يمكن معه كراهيتك.

بشيء من الفضول سألته المرأة، والكثير من السخرية في نبرة صوتها: ماذا كنت ستفعل إذا لم تكن العاصفة قد هبت؟

مد "أرنو" يده في جيبه وأخرج منه مسدساً صغيراً آليًا ثم قال: كنت سأقتل "آرون لي جارن". أقسم لك... كنت سأفعل إذا مس شعرة من جسدك، لكني أبحر كثيرا في خليج "موربيون"، وأعرف جيداً مثل الصيادين تقلبات الطقس، كنت أعرف جيداً أن النوة قادمة بعواصف شديدة.

على الرغم منها فإن المرأة شعرت بصدق روايته، وتأكدت مما يقول. لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام وهي ترى إصراره وعزيمته، وهو يسحب المسدس ليعيده إلى جيبه.

– ثم بعد.. ماذا حدث؟

– أخذت صوراً لكل رجال الطائفة الذين شاركوا في الاحتفال في اللحظة التي كانوا يصعدون فيها إلى السفينة، كانوا لا يرتدون أقنعتهم، وجوههم ماثلة واضحة أمام صور الأشعة تحت الحمراء.

وانتحار "لي جارن"؟ لأن التاجر انتحر.. أليس كذلك؟

– نعم.. فهم كل شيء ولم يستطع أن يخالف أوامر الإله "تور" حماك، حسمت المسألة. أما بالنسبة لي فإنني أخبرته بوجود هذه الصور، فعرف أنه خسر اللعبة...

اندهشت "أورينا" قائلة:

– لكن ما تعرضت له من خطر كان عظيمًا. بمعرفته بتلك الصور كان يمكنه أن يقتلك، أو يجعل رجاله يفعلون.

ضحك "أرنو". كانت هذه النقطة مثيرة للاستهزاء والسخرية معا، قال:

– إن مبدأ الطائفة ألا يتقاتل رجلان من "الإنوانيين". ليس أمامي أي مخاطر. إن "لي جارن" أثبت أنه محترم جداً لعقيدته.

التزما الصمت لحظات قبل أن تسأل "أورينا" قائلة:

– ماذا سوف يحدث الآن؟

– أعطيت الأفلام إلى أحد الأصدقاء في ميناء "الكرنك". ستكون جاهزة هذا المساء، ولا يبقى لي بعد ذلك سوى تقديمها إلى رجال الشرطة حتى يقوموا بإيقاف هؤلاء القتلة. الآن بعد فرار قائد الشرطة، لم يعد هناك خوف من شيء.

هكذا، وبعد أن اتضح كل شيء كانت التفاصيل الصغيرة الأخيرة لموضوع "الإنوانيون" لا تمثل عقبة أمام انتهاء الموضوع. الآن تشعر "أورينا" بمشاعر متناقضة تتجاذبها، من ناحية كانت تشعر بانجذاب نحو "أرنو"، على الرغم مما فعله معها ومتناسية سلوكه في هذه القصة، ومن ناحية أخرى فإن رغبتها في الهروب من هذا الرجل الذي عرض حياتها للخطر بغرض انتقام غير مفهوم. "وهذه الميكافيللية في أن يستخدمني كأداة لينتقم لـ"آريان. إنه مازال مغرماً بها. لا توجد امرأة أخرى بالنسبة له". قالت:

– إذن كنت واحداً من أولئك الحاضرين، أصحاب الحلل البيضاء.

– آه.. نعم..

– والليلة التي قبلها في منطقة الغابات. هل كنت هناك؟

– لا، كنت متعباً...

لم يضف الرجل شيئاً. شعرت المرأة به. كان القرار النهائي لها، وهو يحترم ذلك.

"ماذا أفعل؟ أنسى هذه القصة، أسامحه على ما فعله بحقي أم أنسى ذلك الموضوع تاركة "كيبيرون" ولا أتذكر هذه الحادثة

سوى لكتابة مقالي"؟

كانت المرأة تزن جيداً الموقف، تحسب كل شيء بدقة، ما هو في صالحها وما هو ضدها.

"ما الذي يثبت لي أن "أرنو" يحبني؟ وأنه يبادلني نفس المشاعر"؟

تأرجحت مشاعرها أمام عينيها التي كانت تنظر بهما إلى وجه "أرنو". حقيقة أنه اعترف منذ وقت قليل بحبه لها، لكن ذلك كان أثناء سرده لقصته. أيحمل هذا الاعتراف على الجدية. إن هذا الأمر كله يبدو غريباً، لا خاسر فيه ولا فائز.

احتارت "أورينا" من أمرها. همست قائلة:

– "أرنو".. إنك لا تتكلم، ألا تقول شيئاً؟

هز كتفيه ووضح عليه الشرود بعد الاعتراف الذي أدلى به، والدور الخطر الذي لعبه على المرأة. "لكن، بحدود فإنني أفهم رغبته في الانتقام من "الإنوانيين". جريمتهم لا يمكن أن تظل بدون عقاب. الحظ السيئ فقط هو الذي أوقعه معي. لكن ربما كان في استطاعته أن يجد أسلوباً أفضل في الانتقام، أقل ميكافيللية. لا أعرف... لا أعرف"... تحدث "أرنو" أخيراً، بعد طول صمت. كانت نبرة صوته مجهدة كما لو كانت الحياة تجهده وتمثل عبئاً عليه. قال:

– إنني لا أستطيع أن أنصحك بأي شيء، كل الخيوط بيدك، كوني سيدة قرارك، بعد ما فعلته معك وأخبرتك به، ليس عندي ما أضيفه، افعلي ما تتمنينه حقاً، لكن لا تشكي فيّ أرجوك حتى ولو كانت كل المظاهر ضدي.

نهضت "أورينا". الوقت وحده يستطيع أن يدلها على ما

تفعله، لكنها الآن لا تستطيع أن تتخذ قراراً لا تحمد عواقبه فيما بعد. قالت: أعتقد... يجب أن أرحل.

لم يحاول "أرنو" منعها من الرحيل، كذلك لم ينطق بأي كلمة، رضي بقوله لها:

- افعلي ما يبدو لك مناسبًا.. أنت الوحيدة التي تستطيعين الحكم على تصرفاتك وتصرفاتي أيضا.

تركت "أورينا" المقهى، وظل "أرنو" في مكانه لا يحرك ساكنًا يقعده اليأس.

بعد ساعة كانت "أورينا" قد غادرت "كيبيرون" على متن إحدى طائرات شركة خطوط طيران "تالاسا" التي تقوم يوميا بعدة رحلات تربط الجزيرة بـ"باريس".

كانت "أورينا" تشعر بقلبها يتمزق. ونفسها تعاني بشكل فظيع.

سلسلة المقالات التي كتبتها "أورينا بالكسيو" كان لها صدى مدو في الوسط الصحفي. اهتمام المرأة بمثل هذه الموضوعات الغريبة لهذه العبادات الوثنية فضلا عن مشاركتها في هذه الاحتفالات، أثار دهشة زملائها، فضلا عن قرائها. بمناسبة تلك المقالات، زادت مبيعات المجلة التي تعمل بها "أورينا" محققة شهرة واسعة، لكن وسط كل هذا النجاح لم تكن المرأة الصحفية سعيدة. كانت تسخر من كل هذا، ولا همّ لها سوى ذلك الرجل الذي قابلته لعدة أيام على أرض "بريتاني". عندما تركت "كيبيرون" لم تعرف "أورينا" أنها تركت جزءاً منها على متن المركب "آريان". الذي تركته. بالتأكيد كانت واعية لحبها لـ"أرنو، منذ أول وهلة عند رؤيتها لـ"أرنو". كانت على يقين أن

شيئًا ما سوف يحدث بينهما. لكن - بلغز طائفة "الإنوانيين" - فإن شيئًا ما بداخلها قد انكسر.

لقد فهمت وقدرت ما فعله "أرنو" معها. كانت تفهم جيداً دوافعه، لكن استغلاله لها كان بشعًا. ومع ذلك، كانت ترغب في اعتذاره، لكن لم يبادر بأي حركة يعتذر بها. بدلاً من هذا الموقف الذي كان يجب أن ياخذه ويسلكه "أرنو" ولم يقل ولا كلمة واحدة. ما كانت تنتظره منه لم يحدث، وكان عليها أن تترك شرفة مقهى ميدان "أوش" دون أن تقول كلمة واحدة.

"أعرف أن موقفه كان دليلا قويًا على صدق مشاعره. لم يقل شيئًا. ترك لي الحرية كاملة في اتخاذ القرار دون أن يؤثر عليّ في أي شيء. حرة أن أهرب أو أظل معه. هانذا رحلت! يا لي من مجنونة. كل شيء انكسر الآن، كل شيء ضاع"...

كانت "أورينا" قد حكت كل شيء لصديقتها "باتريس"، كل تفاصيل صحبتها مع "أرنو". كانت المرأة على علم به، قالت لها فور سماع قصتها:

- إن تصرفك هذا لغباء منك. إنه يحبك، ذلك واضح. اختفاؤه من على مسرح الأحداث يؤكد ذلك. يحاول لمّ شتات نفسه ومعالجة جراحه في الخارج..

- أو على متن المركب "آريان" بذكرياته مع زوجته.

همست "أورينا".

ولأول مرة منذ صداقتهما التي استمرت طويلا، لم تكن "باتريس" في صف صديقتها. قالت لها بنبرة جافة:

- تستحقين ذلك!

- لكن ماذا أفعل؟ لا يعرف أحد مكانه. أنت نفسك قلت

ذلك..

– انتظري، يجب الانتظار.

بعد مرور شهر، كانت "أورينا" لا تزال تواصل موضوعها الصحفي، والقراء يتابعون التفاصيل منذ أربعة أعداد. تلقت المرأة طردا من البريد عبارة عن هدية ملفوفة بورق لامع مع ظرف. كانت الهدية واضح عليها أنها بسيطة وصغيرة الحجم في آن واحد. فتحت المرأة بشغف الطرد: "تور"... تمثال الإله "تور" الذي وجدته عند "آرون لي جارن". من يمكنه أن يرسل لي هدية مثل هذه؟ وماذا يعني ذلك"؟.

بسرعة فتحت "أورينا" الظرف الموجود مع التمثال. كان كارت زيارة مختاراً بذوق رفيع: "أرنو دي مونبريان"... 7301064 إذا رغبت في ذلك.

"إنه هو.. ذلك ليس معقولا.. رقم هاتفه. إذا رغبت في ذلك. إنني لا أريد سوى رؤيته".

ناسية كل ما كانت تفكر فيه الشهر الماضي وتحفظها بشأن علاقتها مع "أرنو" أسرعت المرأة إلى سماعة الهاتف. كانت يداها ترتعشان، وتشعر بجفاف فمها، وهي تطلب الرقم. سمعت "أورينا" صوت الرجل على الطرف الآخر يقول:

– "أرنو دي مونبريان".

كان انفعال المرأة كبيرا حتى إنها لم تجد كلمات تقولها. كان قلبها يدق بعنف.

كانت الفرحة غامرة حتى إنها أنستها كل متاعبها وحساباتها التي ظلت تفكر فيها خلال الشهر الماضي. لم تستطع أن تفعل شيئًا من فرط سعادتها كما لو كانت لا تستطيع الحراك. فهم "أرنو" سريعًا

من يمكن أن يكون هذا الشخص الصامت الذي لا يسمع سوى أنفاسه. هو أيضا كان ينتظر ظهور المرأة، وبعث بهذه الهدية للإله "تور" كمن يريد أن يوصل رسالة بمعنى محدد.

– "أورينا".. أهذه أنت؟

الصوت ورقة السؤال كانا يسبقهما الدموع.

– "أورينا" حبيبتي، لا تتحركي، سآتي!

ظلت الصحفية ممسكة بالسماعة على أذنيها، ولم تلاحظ أن الخط قد انقطع.

بعد عشر دقائق، دق جرس باب شقة "أورينا" التي ذهبت لتفتح مضطربة.

كان "أرنو دي مونبريان" أمامها، "أرنو" مثل الطالب يحمل في يديه باقة من الورد الأبيض.

همست المرأة: "الإنوانيون"؟

– لقد انتهوا. بفضل مقالاتك وصوري. لن يزعجونا بعد ذلك...

فتح "أرنو" ذراعيه وارتمت "أورينا" بينهما، لم يكن هناك أي أحد سواهما وحدهما.

وقف الزمن، سعادة لا حد لها تتراءى أمامهما، لا نهاية لها مثل البحر...

الخاتمة

وصلت "آريان" إلى الجزيرتين بعد رحلة كان الطقس فيها غير مستقر في خليج "موربيون".

ظلت المناقشة بين "أورينا" و"أرنو" متعلقة بموضوع المركب، كان "أرنو" يريد تغيير اسم المركب. قال لزوجته الجديدة:

– لا أستطيع أن أفرض عليك اسم امرأتي القديمة.

أحببت "آريان" لكن ذلك كان في الماضي...

– لا، "آريان" سيظل "آريان". أنا عرفته هكذا وأحببته هكذا، لا أريد تغيير شيء...

كان الشابان قد تزوجا منذ أربعة أيام في القرية الصغيرة بـ"موربيون" حيث ولد "أرنو". كان احتفالا بسيطًا ليس به أي شيء يمكن أن يصاحب مثل هذين الزوجين المشهورين، بعض الأصدقاء المقربين حضروا الاحتفال واعدين ألا يسربوا الخبر.

كل شيء حدث بسرعة بعدما تلاقى الحبيبان إثر اتصال المرأة، كان ذلك النهاية الطبيعية للحب الذي جمعهما، إنهما الآن معا، ولا يخشيان أحدًا، وستدوم سعادتهما طويلا..

سألت "أورينا" زوجها وهما في طريقهما إلى جزيرة "أوديك":

– لماذا هذه الجزيرة بالتحديد. إن بها ذكريات مؤلمة بالنسبة لنا.

مد "أرنو" يده على فم المرأة وقال لها:

– تقولين ذكريات مؤلمة؟ من الآن فصاعداً سوف ننسى معا هذه الذكريات التعيسة، ولن يبقى لنا سوى لحظات السعادة التي سوف تغمرنا. مد يده إليها. اقتربت منه ونظرا إلى السماء فوقهما. كان الطقس قد اعتدل، وظهرت الشمس من جديد وصفا حال الطقس.

تمّت بعون الله